

1436هـ - 2015 م

مؤسسة التحايا للإعلام
قسم التفريغ

تفريغ

محاضرة
ضوابط الحديث عن العلماء

:: للأستاذ ::

أبي مصعب السوري

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

محاضرة

ضوابط الحديث عن العلماء

للشيخ/ أبي مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

- **سياسة التفريغ:**

يسر مؤسسة التحايا للإعلام، أن تقدم لكم، تفريغ محاضرة (ضوابط الحديث عن العلماء)، للشيخ أبي مصعب السوري —فك الله أسره— وقد استمرت المحاضرة تقريبًا ساعة ونصف، ونُشرت على الشبكة العنكبوتية على شكل ملفين، مع خطأ في الترتيب فالملف الثاني هو بداية المحاضرة.

- وقد انتهجنا في هذا التفريغ، سياسة التصرف في الكلام؛ دون الإخلال بالمعنى، وذلك بغرض جعل الكلام بأسلوب الكتابة ما أمكن دون تكلف، وذلك عبر:

- أولًا: تغيير أغلب الكلمات العامية إلى الفُصحى.
- ثانيًا: تغيير صياغة الجمل، للتوافق مع القواعد النحوية.
- ثالثًا: أضفنا بعض الكلمات في نص التفريغ ليستقيم المعنى وهي باللون الرصاصي.
- رابعًا: حذف الكلام المكرر، وهذا يكثر في المحاضرات؛ **وكذلك حذف الكلام غير الواضح**.
- خامسًا: نقل نصوص الأحاديث وكلمات العلماء التي نقلها الشيخ بالمعنى.
- سادسًا: وضع علامة (...) للدلالة على الكلمات والجُمَل المحذوفة لكونها غير مسموعة أو لغير ذلك من الأسباب.

إخوانكم في مؤسسة التحايا للإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنت أنوي أن أُكمل في موضوع (حرب العصابات)، وقد صورنا لكم البارحة ٤٠ نسخة من المذكرة، فإن شاء الله تُوزَّع عليكم، وإذا نقصت نصور لكن كميات أخرى بعد ثلاثة أو أربعة أيام.

وصورنا ٤٠ نسخة من مذكرة حول موضوع المنهج أو نبذة عن نقاط أساسية عن المنهج التي أعطيت فكرة مختصرة عنها في المحاضرة الأولى وفي المحاضرة التي سُجِّلت قبل ذلك في (كاسيتات)، ولعّكم تسمعونها والأشرطة موجودة وهي تتكلم عن المنهج والنقاط الخمسة عشر الأساسية في منهج سياسي شرعي لأي جماعة جهادية.

فكنت أنوي أن أكمل الآن في موضوع (حرب العصابات) ولكن أحد الإخوة أبلغني أن بعض الإخوة مستائين من أسلوبك في الحديث عن العلماء وعن قادة العمل الإسلامي، بدون أن يحدِّد من استاء ومن لم يستاء، ولكن قال لي: "لو تناقش الإخوة في هذا الموضوع"، فأرى أن هذا الموضوع أهم من أن نتابع في موضوع (حرب العصابات)، فسنحاول أن ندردش فيه قليلًا، ولو أن أي واحد منكم عنده نقطة أو فكرة فهذه الجلسة هي للنقاش بيننا فيما مضى، وسنكمل موضوع حرب العصابات غدًا أو إذا انتهينا قبل نصف ساعة نتكلم عن موضوع حرب العصابات.

على كل حال المذكرة التي أعطيتها لكم؛ فيها أكثر مما سأقوله، يعني أي أخ سيقرأها سيجد أمورًا أنا تجاوزتها، وهذه المادة لحرب العصابات التي صوّرتها لكم هي الفصل الأول من مذكرة يُعدّها أحد الإخوة المصريين حول حرب العصابات في الوطن العربي في المرحلة المقبلة، خاصّة في الجزيرة والشرق الأوسط؛ فهذا الأخ يدرس مُقومّات حرب العصابات في مرحلة ما بعد النظام العالمي الجديد وكيف نقاوم النظام العالمي الجديد بحرب عصابات؛ فيضع تصوّرات لحرب عصابات في الجزيرة وغيرها، وأنا اطلعت على مسودّات البحث للأخ وكان قد أنجز الفصل الأول فأخذته منه.

والفصل فيه كثير من الأمور أخذها من (المذكرة السورية)، وأَخَذ من كتاب (العمدة في إعداد العدة)، وأخذ من كتاب (حرب المستضعفين)، وأخذ من كتب كثيرة؛ فهذا الفصل هو موجز لكثير من الكتب في موضوع حرب العصابات، فتقرأوه إن شاء الله وندردش فيه في الجلسات الباقية.

أمّا بالنسبة لاعتراض بعض الإخوة على الكلام عن العلماء وعن بعض قادة العمل الإسلامي، فأحبّ أن (ندردش) فيه بروح أخويّة، وأي أخ عنده أي استدلال أو أي استياء أو شيء يطرحه بشكل أخوي، فليس عيبًا أن يكون عنده رأي يخالف رأينا، فالأمر كله أخذ وعطاء، وأنا سأقول رأيِي مرة أخرى وأُدافع عن الفكرة، وأضع لها ضوابط بحيث لا تخرج عن الأدب بحيث أن كل واحد يتكلم عن العلماء يشذّ ويتكلم بطريقة غير شرعيّة، فلا بد أن يكون للحديث طريقة شرعية.

فإذا بعد الانتهاء من كلامي بقي في نفس أحدكم أي شيء فليناقشنا؛ فيمكن أن يفيدنا ويفيد الإخوة، يعني لا أريد أن أقسم عليكم ولكن أي واحد عنده أي شيء فليقوله، فإذا لم يقله ثم استاء فليس عنده حجّة بعد ذلك، فالآن هذه الساحة مفتوحة حتى نناقش هذا الموضوع.

مقدّمات حول موضوع العلماء:

يعني أول ما يحضرني في موضوع الحديث عن العلماء وعن قادة العمل الإسلامي نقطتين.

النقطة الأولى نقطة شرعية: وهي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول كما في صحيح البخاري: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فضَلوا وأَضَلُّوا). [1]
الذي نستفيده من الحديث أنه في آخر الزمان -الذي نحن فيه بدون أي شك-؛ سينتزعُ الله -سبحانه وتعالى-

[1] صحيح البخاري: (١٠٠).

العلم في هذا الزمن، وسيبقى عدد قليل فقط العلماء؛ خاصّة في أمور الشريعة المتعلقة بحياة الناس، فهذا القليل عندما يذهب لا بد للناس أن تتخذ رؤوسًا، فستتخذ الناس بدل العلماء رؤوسًا جهالًا.

فالله -سبحانه وتعالى- لا يرفع العلم رفعًا هكذا بحيث يكون عندنا علماء فيصبحون جهّالًا؛ وإنّما يذهب العلماء واحدًا تلو الآخر فيأتي زمن ليس فيه علماء، فيبدأ الناس بإفراز رؤوس جهّال، فهؤلاء الرؤوس الجهال يفتون بما لم يعلموا؛ فتجد كل واحد منهم يتصدّى لأي موضوع فيُفتي برأيه ويفتي بهواه ويفتي بمصلحته ويفتي بهوى السلطان ويفتي لمن يعطيه المال؛ فيَضل ويُضلّ الناس.

النقطة الثانية: التي أستند عليها هي تاريخ علم الرجال عند المسلمين؛ عند المسلمين هناك مجموعة من العلوم يفخرون بها على سائر الأمم، علوم ليست موجودة عند الأمم الأخرى؛ منها علم الرجال؛ وحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصلنا مضبوطًا معروفًا الصحيح من الضعيف عبر هذا العلم، وكثير من العلوم الإسلامية ضُبطت بهذا العلم، مثل علم التاريخ والتفسير وغيره.

فعلماء (علم الرجال) كانوا يقنِّنون ويفصِّلون: "هذا رجل صادق"، "هذا كذّاب"، "هذا وضّاع"، "هذا شيعي"، حتى في بعض الجيّدين يقولون: "هذا ثقة ولكنه ينسى"، "هذا ثقة ولكنه اختلط في آخر عمره"، "هذا ثقة ولكن كان يقرأ من مكتبته فاحترقت مكتبته"، فيعتبرون كل هذه القضايا من مُضعِّفات حديث هؤلاء الناس، فإذا كان أي واحد منهم عنده تشيّع أو فيه اعتزال أو فيه أي انحراف؛ كانوا يتكلون عليه بهذا العلم.

حتى أنّ كثير من العلماء الثقات كانوا يخوضون في بعضهم وهم أحياء بأساليب صريحة، فهذا يتكلم على هذا ويُفَنِّد ويقول العالم الفلاني عنده كذا والعالم الفلاني عنده كذا، حتى أنّ من أغرب ما سمعت في هذا الموضوع؛ كلام الإمام مالك في ابن إسحاق راوي السيرة، كان الإمام مالك يقول عن ابن إسحاق: "هذا دجّال يروي عن اليهود"، وكان ابن إسحاق يقول في مالك كلامًا أشدّ من هذا لا أحفظه، حتى أنه فيما بعد جمعهم العلماء وأصلحوا بينهم، وبقي الإمام مالك لا يعتدّ بروايات ابن إسحاق ويعتبر أنه يروي إسرائيليات. [٢]

[٢] يقول الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ط الحديث ٦\٥٠٢ : "يحى بن آدم: حدثنا ابن إدريس، قال: كنت عند مالك، فقال له رجل: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا علي علم مالك فإني بيطاره. فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا علي علم مالك." اهـ

فهذا الكلام موجود، وهناك قصة أخرى استغربت عندما سمعتها؛ وهي أن عبد الله بن المبارك –رحمه الله– كان يروي عن أحد علماء الحديث ويقول فيه: "كان إذا قيل لي هل تدخل الجنة أو تزور فلان؟ أقول لهم: أزور فلان ثم أدخل الجنة"؛ يعني لشدة إعجابه به على ما يسمع قال: لو قيل لي ادخل الجنة، أقول أقابل فلانًا ثم أدخل الجنة". قال: "فلّما رأيته لم يساوي عندي بَعْرة"، هكذا قال. [٣]

وكان من أشد الأشياء التي يقيس بها العلماء بعضهم؛ قربهم من السلاطين أو بعدهم عنهم، وكان موضوع القرب من السلاطين فتنة ومسبّة عند العلماء، فكان إذا زار السلطان أحد العلماء الكبار أصحاب القيمة يسقط من أعين العلماء، ولم يكن السلاطين مثل حسني مبارك أو فهد أو كذا ولكن كان السلاطين المَعنيِّين هم أمثال هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور وعبد الملك بن مروان، سلاطين وخلفاء شرعيين يحكمون بما أنزل الله ولكن عندهم ظلم وشذوذ.

حتى أن عبد الله بن المبارك –وهو معاصر لهارون الرشيد– كان يقول: "لا أرى دخول العلماء على السلاطين، معروف عرفوه ومنكر أنكروه فماذا أفعل عندهم" اهـ. [٤]

كان السلطان هو الذي يجيئ إلى العالم، وكان العالم له هيبة كبيرة جدًا، حتى أنّ زبيدة زوجة هارون الرشيد المشهورة في التاريخ؛ سمعت مرة من المرات جَلَبَة من السوق، فأطلت من القصر فوجدت ضوضاء والناس يظهر عليهم الاحترام والهيبة، فقالت ماذا يجري؟ فقال لها الحرس: هذا عبد الله بن المبارك، جاء فضجّ السوق احترامًا

---

[٣] يقول الإمام الجرجاني في كتابه (الكامل في ضعفاء الرجال) ٥\٢١٣ :"حَدَّثَنَا مُحَمد بْنُ عَبد الرَّحْمَنِ الدغولي، حَدَّثَنا مُحَمد بْنُ عَبد اللَّهِ بن قهزاد سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول: سَمِعتُ عَبد الله بن المُبَارك يقول: لو خُيِّرت بين أن أدخل الجنة، وأن ألقى عَبد الله بن محرر لاخترت لقاءه ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه." اهـ

[٤] لم أجد هذا الأثر، ومما روي عن ابن المبارك في ذمّ الدخول على السلاطين قوله: "من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: أما موت يذهب علمه، وأما ينسى، وأما يلزم السلطان فيذهب علمه."اهـ.

لعبد الله بن المبارك عالم الحديث، فذهبت إلى هارون الرشيد وقالت: هذا هو المُلك لا مُلكك ومُلك أبيك، يعني هذه هي الهيبة الحقيقية وهذا هو السلطان الحقيقي، كل هذه الهيبة أحرزها العلماء ببعدهم عن السلاطين. [٥]

إذا قرأت التاريخ الإسلامي تقع على كنوز، الإمام أحمد بن حنبل كان محدّثًا، وابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل كان محدثًا، فكان عبد الله بن أحمد بن حنبل يخبز ويرسل الخبز لأبيه، ففي يوم من الأيام ردّ الإمام أحمد الخبز ولم يقبله، فاستغرب ابنه وسأله فقال له: " بلغني أنك دخلت على السلطان فصار في خبزك شبهة"، لعلّ السلطان كافأك أو أعطاك شيء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فبجزء من الذي أخذته خبزت فدخل في الخبز شبهة، لأنه دخل على خليفة! فتقرأ في التاريخ شيئًا عجيبًا جدًا. [٦]

النقطة الأخرى التي أقولها: لا يغرّك أنّ عالمًا من العلماء أو قائد من قواد العمل الإسلام بدأ مجاهدًا أو بدأ عالم، والحقيقية أنا أتحرج في العلماء أكثر من قادة العمل للإسلامي؛ لأن قادة العمل الإسلامي لا يستأهلون هذا حقيقة، معظمهم جهلة في دين الله يخوضون فيما لا يعلمون، وسآتيك بقائمة من العلماء وقائمة من قادة العمل الإسلامي وأقول لك بعض الأحداث والأقوال الثابتة في مقابلاتهم وكتاباتهم وأنت تحكم على ضوء الكتاب والسنة، ولن أقول لك رأيي أبدًا. يعني إذا تحرَّجنا مع العلماء فهذا له وجه، لأنهم علماء أما قادة العمل الإسلامي فمن العدالة أن نتحرّى الدقة ولكن هم حقيقةً جهّال.

إذًا النقطة الثانية التي أريد أن أقولها أنه لا يغرّك أن عالم من العلماء أو قائد من قواد العمل الإسلام بدأ مجاهدًا أو بدأ عالمًا لأنّ الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، كان عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- يقول: "ألا لا يقلِّدن رجل رجلًا

[٥] يقول ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٢\٣٢٥: "أشعث بن شعبة المصيصي قال: قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب فلما رأيت الناس قالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان." اهـ

[٦] الصحيح أن الإمام أحمد ترك طعام ابنه صالح وليس عبد الله وكان صالح قد وليَّ القضاءُ وأخذ بعض المال وبعض المرتبات فترك الإمام طعامه ورعًا، يقول الإمام بان الجوزي في كتابه مناقب الإمام أحمد صـ ٣٥٠ بعد أن ذكر سنده: "... ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طَعِم فيها، فبعث إلى صديق له فاستقرضَ شيئاً من الدقيق، فعرفوا في البيت شِدّة حاجته إلى الطعام، فخّبزوا بالعَجلة، فلما وُضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ فقيل له: كان التنور في دار صالح مسجوراً، فخبزنا بالعجلة، فقال: ارفعوا، ولم يأكل، وأمر بسد بابه إلى دار صالح." اهـ

دينه، فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإن كان مقلِّدًا -لا محالة- فليُقلِّد الميت، ويترك الحي، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة" [7] فكان وهو صحابي ويأمر النّاس أن يأخذوا عن من مات من الصحابة لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

فلا يغرك عندما أتكلم عن (النحناح) أو أتكلم عن (يوسف العظم)؛ أن تقول لي هذا كان في زمانه كذا وكذا. أنا أتكلم عن واقع هؤلاء الناس وما وصلوا إليه، لعلّه كان في تاريخه سفيهًا أو كان في تاريخه مُحسنًا أو كان جيّدًا، هذا لا يهمنا، والعبرة بالخواتيم؛ يعني الإنسان إذا ختم له بالسوء فلن تغني عنهم بداياتهم.

حتى نحن يجب أن لا نغتر بجهادنا، والله بدأنا بالجهاد في سوريا بالمئات، ثمّ تورَّط في الأحداث آلاف الناس، وانا أعلم ممّن كان من خيرة المجاهدين هم الآن زناة ومهرّبي مخدّرات. كانوا من إخواننا! ولم يبقَ لهم من الإسلام إلا الصلاة التي ينقرونها كنقر الديك، وهم إخواننا ولعل منهم من نفذ عمليات جهادية.

وكان السلف -رضي الله عنهم- يهتمون بموضوع الخاتم، ويحضرني الآن روايتين عن موضوع حسن الخاتمة؛ كان الإمام سفيان الثوري عندما حضرته الوفاة بكى بكاءً شديدًا، وكان معروفًا بتقواه وورعه، فقالوا له: "إن ذنوبك أهون من هذا البكاء الذي تبكيه!"، فقال لهم: "إن ذنوبي عندي لأهون من أن أبكي عليه ولكني أخاف أن أُفتن قبل القبض". [8]

فلا يغرك أن الرجل كان مجاهدًا أو كان عالمًا أو كذا؛ يقال عن النحناح [9] أنه كان أيام الفرنسيين كان له تاريخ وكذا، ويقال عن يوسف العظم [10] في أول عهده أنه كذا وكذا، ويقال عن سعيد حوى [11] -غفر الله له- ما يقال، وسعيد حوى دمّر الجهاد في سوريا، ولكن لو تقرأ قصته وتاريخه تجد شيئًا عجيبًا. وسأستعرض الآن تاريخ بعض

---

[7] سنن البيهقي: (٢٠٣٤٩).

[8] يقول الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) ط الحديث ٦٣٩\٦: "وقال عبد الرحمن رسته: سمعت ابن مهدي يقول: بات سفيان عندي فجعل يبكي فقيل له. فقال: لذنوبي عندي أهون من هذا، ورفع شيئًا من الأرض، إني أخاف أن أُسلب الإيمان قبل أن أموت." اهـ.

[9] محفوظ بن محمد نحناح ١٩٤٢- ٢٠٠٣ أحد قواد الحركة الإسلامية في الجزائر ورئيس حزب حماس (الإخوان المسلمين في الجزائر) عند حدوث الثورة في الجزائر وقف مع الانقلابيين العلمانيين ضد الإنقاذ والإسلاميين ووصفهم بالإرهاب.

[10] يوسف العظم (١٩٣١-٢٠٠٧) شاعر وسياسي أردني، انتمى لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن ودخل البرلمان من عام ١٩٦٣ ثم أعيد انتخابه ١٩٦٧ ة ١٩٨٩ وتولى وزارة الشؤون الاجتماعية في حكومة مضر بدران.

[11] الشيخ سعيد حوى (١٩٣٤-١٩٨٩) أحد علماء وقادة الإخوان المسلمين في سوريا، تكلم الشيخ عن دوره في الثورة السورية في كتابه التجربة السورية.

الناس، فلا يغرك هذا ففي القرآن الكريم حادثة واضحة ومعروفة في موضوع حسن الخاتمة وسوء الخاتمة. ومشهورة القصة ولعلّ كلكم قرأها.

الإمام أحمد بن حنبل عندما حضرته الوفاة كان يغفوا من الحمّى ثم يصحوا، فكان في الغيبوبة يقول: "ليس بعد"، فعندما صحى صحوة الموت سأله ابنه عبد الله وقال له: "إيش ليس بعد؟"، فقال له كان عندما يُغمى علي يأتيني الشيطان فيقول لي: "فتّني يا أحمد"؛ أي نفذت من الفتنة في حال الحياة، فكان لأنه يعلم أنه لم تأتِه الوفاة بعد يقول ليس بعد، ولا زال هناك احتمال، وهو في سكرات الموت يقول ليس بعد! [12]

فموضوع حسن الخاتمة وسوء الخاتمة قرأنا فيها كثيرًا، فلا يغرّك عندما نتكلم عن فلان أن يُقال: "هذا دخل في سجون عبد الناصر عشرين سنة"، أو فلان فعل وفعل، ومن التاريخ نعلم أن هناك أناسًا فُتنوا، ومن القرآن قصة بلعام بن باعوراء واضحة ومبسوطة ومروية في التفاسير.

هذا الرجل كان عالمًا، والله تعالى يقول عنه في القرآن {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}[13] يعني آتاه العلم والآيات، {فَانسَلَخَ مِنْهَا} هو الذي تركها، فلما خرج مع يوشع بن نون وهرب إلى جماعة الجبارين الذين كانوا في فلسطين بدأ ينصح الجبّارين كيف يقاتلوا قومه، وهذ القصة رواها بطريقة جميلة أبو حذيفة في خطبة الجمعة قبل الماضية، فقال له الجبارون: أنت مستجاب الدعوة فتدعو على قوم موسى، فقال لهم: لا أستطيع، فقالوا لا بد.

فركب حماره وخرج الجبل حتى يدعو باسم الله الأعظم على قوم موسى، فكانت الحمارة لا تطاوعه، فيضربها فلا تمشي، حتى نطقت الحمارة وقالت له: "أتدعو على قوم موسى؟"، فلم يرتبك، وشعر أن الله تعالى فَتَنَهُ، فكان يدعو فتنقلب الكلمات في اللسان وتخرج كلمات أخرى.

---

[12] **يقول الإمام ابن الجوزي في كتابه (مناقب الإمام أحمد) صـ ٥٤٧ بعد أن ذكر سنده: "..قال: سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: لما حضَرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا، لا بعد، لا بعد، لا بعد، ثلاث مرات، ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة، قلت له: يا أبة أي شيء؟ هذا قد لهجت به في هذا الوقت تغرق حتى نقول: قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بعد، فقال لي: يا بني ما تدري؟ فقلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاضّ على أنامله، يقول لي: يا أحمد، فتَّني وأنا أقول له: لا بعد، حتى أموت." اهـ.**

[13] **سورة الأعراف، الآية: ١٧٥**

فقال للجبَّارين: فُتنت وذهب عني الدين والدعاء ولم يبقَ عندي إلا الحكمة، فأرسلوا عليهم النساء. يعني نصّح الجبّارين أن يرسلوا نساءهم على بني إسرائيل، فأرسل الجبارون النساء على قوم موسى ففُتن الجيش ووقعوا في الزنا، فأرسل الله على الطاعون على بني إسرائيل. فيقال في الإسرائيليات وكتب التفسير أنه هلك منهم بالطاعون بسبب الزنا سبعون ألفًا.

المهم القصة طويلة؛ نأخذ منها أن بلعام بن باعوراء كان في ابتداء أمره كما قال تعالى: {آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا}، وفي الإسرائيليات أنه تعلم اسم الله الأعظم، ثم انتهى بهذه النهاية، فالحي لا تؤمن عليه الفتنة، فنحن لا نحكم إلا بالكتاب والسنة ثم نحكم على واقع هؤلاء الناس، رجل بدأ كذا وانتهى وكذا.

نماذج من انحراف بعض العلماء وقادة العمل الإسلامي والموقف منها:-

الآن استعرض لكم عدد من العلماء، وعدد من قادة العمل الإسلامي، ومن مواقفهم حسب ما أتذكر وهذه المحاضرة لم أحضِّر لها لأنّي كنت أنوي أن نقرأ في (حرب العصابات). نبدأ بالقطَّان.[١٤]

كم منّا سمع القطان وتهيّج بحديث القطان وربّما بكى، والرجل ناصر الجهاد في سوريا كثيرًا، وألقى خطابات واستقطب فيها الجماهير الطويلة العريضة حتى يجمع التبرعات والدعم، يعني كان متعاطفًا مع الجهاد في سوريا، فلمّا جاءت حرب الخليج ماذا فعل!.

لـمّا جاءت حرب الخليج حضر القطان مؤتمر مكّة لرابطة العالم الإسلامي، وتكلم كلامًا عجيبًا، وهذا مسجل في شريط فيديو سجلته جماعة البنيان عندما ذهب (سيّاف) عن الأفغان ونشروا الشريط في بيشاور، والشريط موجود الآن يمكن أن تسمعوه، الشريط يبدأ به الخطاب سيّاف ثم ابن باز ثم حضر أحد مجرمي علماء السعودية اسمه عبد الله بن عبد المحسن التركي[١٥]، فهذا الرجل هو الذي ألقى كلمة الملك فهد في المؤتمر، ولما حصلت

---

[١٤] المقصود الشيخ الكويتي أحمد القطان، من مشاهير دعاة وخطباء الصحوة الإسلامية في الكويت.

[١٥] الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي أمين عام رابطة العالم الإسلامي.

حرب الخليج خرج وطاف في كل الدنيا من أجل دعم موقف المملكة بعد الحرب، وأرسل وفودًا كثيرة منها أبو بكر الجزائري والناس رموه بالنعال، الآن أحكي لكم قصته في باريس وكيف أن الإخوة الجزائريين قصفوه بالنعال والأحذية حتى أخرجوه وهو يُقصف قصفًا تحت النعال، فانظروا للمنزلة التي أنزله الله إياها بعد كل هذا العلم.

المهم هؤلاء الناس انزلقوا في الفتنة، ونحن لا نقول أن هؤلاء فُتنوا وطبع الله على قلوبهم ولن يرجعوا، نحن نقول أن هؤلاء الناس بدأوا محسنين أو كنّا نظن أنهم محسنون، ثم تغيروا الآن وكُشفوا الآن في واقع مرير سيء، فهم بواقعهم السيء ليسوا إخوة، وكلامهم في هذه الوقائع التي يتكلون فيها ساقط ومبتور، وإذا أردنا أن نصنّف الناس بين أهل الحق وأهل الباطل فهم في هذا الموقف الذي وقفوه في جهة الباطل.

وأنا لا أقول أن هؤلاء الناس كفروا أو ارتدّوا؛ فهذا يحتاج لبحث أن نثبت أن هذا العمل هو عمل كفر وردّة ثم ننظر في الأعذار وأنه هل هؤلاء الناس يخرجون عن الكفر العيني أو لا؟

فهذا ليس بحثنا فنحن نريد من الإخوة فقط أن لا يتّخذوا هؤلاء الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، فقط لا تأخذ كلامه على أنه كلام منزَّل، ولا تُعطيه قدسيّة بحيث إذا سمعت مثلي أو غيري يتكلمون عليه تغضب وتحزن مباشرة وتقول لا تتكلموا فيهم.

يا أخي ليس هناك أحد لا يُتكلَّم فيه؛ عمر بن الخطاب -والحادثة معروفة- وقف على المنبر فقال له الأعرابي: لا نسمع ولا نطيع حتى نعرف ما هي قصة الثوب، والقصة مشهورة[١٦]، وكثير من الصحابة اختلفوا مع بعضهم وكل واحد كان له رأي. يعني موضوع الحوار والحريّة بين المسلمين كان مفتوح، امرأة كانت تقف وتناقشه حتى

[١٦] القصة ذكرها ابن القيم في (إعلام الموقعين) ٢\١٢٣، وذكرها محب الدين الطبري في كتابه (الرياض النضرة في مناقب العشرة) ٢\٣٨٩: "وروي أن عمر جاءته برود من اليمن ففرقها على الناس بردًا بردًا، ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلة منها فقال: اسمعوا رحمكم الله! فقام إليه رجل من القوم فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع، فقال: ولم يا عبد الله؟! قال: لأنك يا عمر تفضلت علينا بالدنيا، فرقت علينا بردًا بردًا وخرجت تخطب في حلة منها، فقال: أين عبد الله بن عمر؟ فقال: ها أنا يا أمير المؤمنين، فقال: لمن أحد هذين البردين اللذين عليّ؟ قال: لي، فقال للرجل: عجلت علي يا عبد الله، إني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت ثوب عبد الله، قال: قل الآن: نسمع ونطيع. خرجه الملاء في سيرته." اهـ

قال: "كل الناس أفقه من عمر، أخطأ عمر واصابت امرأة"[17]، وكان عمر بن الخطاب رجلًا فقيهًا ومع ذلك كانت الناس تقف وتناقشه، فلماذا نحن طبّقنا على أنفسنا قانون (العيب)، أنور السادات أخرج قانون مصري اسمه (قانون العيب)؛ أنّ الذي يتكلّم في مواضيع معينة تخص الدولة يحال إلى المدّعي العام حتى يحاكم بأنه اخترق (قانون الغيب).

في كل الدول العربية هناك قانون (سبّ الذات الملكيّة) يُجرِّم عليه القانون، في المغرب قد يصل إلى الإعدام أو السجن عشرين سنة، وفي كلّ الدول هناك مثل ذلك، حتى في قانون (المملكة العربيّة السعودية)، وليس سبّ الملك فقط بل في نقل صاحب كتاب (كشف الغمّة) عن نص القانون أنّك لو أهنت أعلام دولة أجنبيّة أو تكلم على دبلوماسيين أو أهنت البعثات فهذه جريمة. هؤلاء الناس حصّنوا أنفسهم بالقدسيّات، وليس هناك أحد بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يُحاسَب ولا يقال له أصبحت وأخطأت، فقط أحببت أن أرسخ هذا الكلام في رؤوس الإخوة.

القطان عندما جاء للمؤتمر جاء متأخرًا، وهذا تجدوه في شريط البنيان عن مؤتمر مكة؛ تكلّم سيّاف، ثمّ تكلم ابن باز، ثمّ تكلّم عبد الله بن عبد المحسين وقرأ رسالة الملك، ثمّ صعد القطّان متأخرًا فصعد المنبر وتكلم بكلام ومبالغات، والخطباء والقصّاصين غالبًا ما يقعوا في الأكاذيب والتهويل، فقال: "روى لنا أناس عبروا الكويت إلى السعودية فارّين من الجيش العراقي، فقالوا وقد رأينا بأعيننا امرأة حامل من شدّة العطش فتحت باب السيارة عندما وصلت إلينا فخطت الخطوة الأولى فولدت وسقط جنينها على الرمل وبدأ يتلوّى.." يعني واضح من الكلام التهويل والصور الكاريكاتيرية، المسافة بين الكويت والسعودية ٤٠ كلم، والذي يخرج بالسيارة يقطع المسافة يجد السعوديين يستقبلوه.

فصور الصورة هكذا ووضع المسؤولية على صدّام، ثمّ في النهاية طالب اللجان وطالب المسلمين بتأييدهم، ويا ليت هؤلاء الإخوان المسلمين الكويتيين اتّعظوا وقالوا: "الله -سبحانه وتعالى- مسّنا بالبأساء والضراء حتى

---

[17] **أخرج عبد الرزاق في مصنفه (١٠٤٢٠): "عن قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال عمر بن الخطاب: «لا تغالوا في مهور النساء»، فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله يقول: «وإن آتيتم إحداهن قنطارا من ذهب» قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله «فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئا»، فقال عمر: «إن امرأة خاصمت عمر فخصمته».**

نتّعظ، وإذا أنعم الله علينا بالجهاد وحررنا الكويت سنقيم حكمًا إسلاميًا"، لو قالوا هذا الكلام لوقف معهم كل الناس، ولكن قالوا: "نريد أن نحرّر الكويت حتى تعود لحكومة آل الصباح الشرعيّة"!.

آل الصباح مثل غيرهم من حكام المسلمين كفرة، وهذا الكلام عليه مائة ألف دليل، وإذا لم ننطلق من هذه النقطة فسنصل إلى فقه أعرج، وهذه النقطة سنأتي عليها إن شاء الله، إذا كنّا سنصرِّح بإسلام الحكّام فسنقع في فقه طويل وعريض وسنسقط في كل الزلّات والانحرافات التي وقع فيها العلماء وقادة العمل الإسلامي، نحن ننطلق من أن هؤلاء الحكام كفّار لتطبيقهم شرع لم يُنزل الله به من سلطان، وكفروا لولايتهم لليهود والنصارى هكذا جهارًا نهارًا، كفروا لخيانة الله ورسوله والمؤمنين ولكثير من الاعتبارات والمقاييس.

فكون هؤلاء الحكام كفروا وارتدّوا يُبْنَى على هذا فقه، هذا الفقه هو أنّه يجب أن نجاهد، وحتى نجاهدهم نحن نحتاج إلى أسلحة ومنها الأدلّة الشرعيّة والدعاية والسلاح للقتال، وهم حتّى يقاتلونا يحتاجون إلى دروع يدافعون بها، فيحتاجون إلى جيش ومخابرات، وبالمقابل يحتاجون لطبقة من العلماء والحركات الإسلاميّة تشهد لهم أنهم على الحق.

فعمليًا نحن وعلماء الإسلام الذي يدافعون عن الطواغيت في حالة حرب شئنا أم أبينا، فإمّا أن أنتصر أنا أو ينتصر الطواغيت وأنصارهم، والله -سبحانه وتعالى- جعل الأجر لمن كثَّر سواد المسلمين، وجعل الوِزر لمن كثّر سواد الكافرين، وفي حديث البيداء ناس يُخسف بأولهم وآخره لمجرّد أن وجودهم توافق مع وجود الجيش، كانوا باعة أو سوّاقين أو ناسًا موجودين على الطريق فلمّا جاءت ساعة القصف قُصفوا معهم، ولكن الله -سبحانه وتعالى- بعدله يحشرهم على نيّاتهم، ولكن أخذوا العقوبة الأرضية الكونية معهم لكونهم موجودين كثّروا سواد المجرمين.

فأنا عندما أدخل في جهاد ضد حسني مبارك أو غيره ثم يقف رجل كالشعراوي ويقول: هؤلاء الناس على باطل، فما هو حكم الله تعالى في هذا؟

والله –سبحانه وتعالى– تركنا كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– على المحِجَّة البيضاء، [18] ويقول الله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[19]، يعني لا تطرأ حالة ولا حادثة ولا ظرف إلّا وللشرع فيه رأي، فما هو رأي شرع الله تعالى في حادثة كالحادثة التي نحن فيها؟ علماء يقفون مع الطواغيت وحركات إسلامية تناهض الجهاد وحركات إسلامية تنقلب عن فكرها الأوّل، فهذا يجب أن يكون للشرع فيه موقف.

نحن ابتداءً لا نكفّر أحدًا ولكن نقول هذه الحالة الحكم الشرعي فيها كذا، الحاكم كافر فالفئة التي تقاتل معه حكمها كذا، في القرآن: {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}[20]، فالذين يقاتلون في سبيل الطاغوت سمّاهم القرآن {وَالَّذِينَ كَفَرُوا}، وهذا الوصف وصف عام بالجملة ولكن فيهم الجاهل وفيهم المُكرَه وفيهم المتأوِّل، ولكن هم كطائفة طائفة كفر، كما يقال في التاريخ مثلًا "أهل مرو بخلاء"، فهل هذا يعني أنّهم ذهبوا لكل واحد من أهل مرو ووجدوه بخيلًا؟! ولكن على الجملة يغلب على أهل هذه البلدة الوصف الفلاني، فهذا حكم الجملة، هذا يسمّوه حكم الطائفة، أنّ هذه الطائفة طائفة كفر وضلال وطائفة معادية لله ورسوله، فيها ناس حالهم غير هذا ولكن هم من هذه الطائفة.

فنقولها بلا خجل وبلا خوف؛ أنّ الذي يدافع عن الطاغوت وينصر الطاغوت بالسلاح أو بالسيف أو بالفتوى أو بالدعاية فهو من طائفة الكفر، وعند أهل السنة ليس بالضرورة أن يكون كافرًا، فماذا ينبني على هذا من الحكم الأرضي؟

أفتى ابن تيمية أن طائفة الكفر هذه تُقاتَل، حتى أن ابن تيمية عندما اختلط الأمر على بعضهم قال: "لا يحكم بعدم جهاد هؤلاء الناس إلّا جاهل لا يفقه في دين الله"، وزيادة في التأكيد قال: "إذا رأيتموني معهم وعلى رأسي

[18] أخرج ابن ماجة في سنن (٤٣) عن العرباض بن سارية عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ..)صححه الألباني، يقول المناوي في (فيض القدير شرح الجامع الصغير): "(قد تركتكم على البيضاء) وفي رواية عن المحجة البيضاء وهي جادة الطريق، مفعّلة من الحج القصد والميم زائدة." اهـ

[19] سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

[20] سورة النساء، الآية: ٧٦.

المصحف فاقتلوني"، واستشهد بحديث البيداء [٢١] وقال : "إذا كان الله -سبحانه وتعالى- وهو القادر على أن يميّز المجرمين من المؤمنين ويخسف بالمجرمين فقط؛ لم يفعل وأعطاهم حكمًا جماعيًا وخسف بهم جميعًا، فكيف بنا نحن العبيد الضعفاء أن نميز في كل طائفة من يستأهل القتل ومن لا يستأهل؟!" [٢٢]، فنحن نقاتلهم لوجودهم في الطائفة، ثم الله -سبحانه وتعالى- يحشر المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، هو إذا كان يريد أن ينجو بجلده منّا في الدنيا فليخرج من هذه الطائفة، ولا يقف معها، فنحن لا نستطيع أن نميز.

طبقات النظام العالمي الجديد والطريقة الأمثل في قتالها:-

وأرجع فأقول نحن الآن في حالة حرب مع النظام الدولي الجديد المكون من أربعة طبقات؛ وأرجو أن تفهموا هذه النقطة تمامًا، النظام العالمي الجديد هو نظام احتلال مرتَّب، رتّب له على الأقل من أوائل السبعينيات، واقرأوا كتاب (كشف الغمّة عن علماء الأمة) للشيخ سفر الحوالي، لما فيه من تحليلات صحفية، رُتِّب لهذا الاحتلال من زمن طويل، ولو لم تدخل العراق لدخلت إيران، ولو لم تدخل إيران لافتُعلت أي مشكلة في الخليج حتى يأتي هؤلاء الناس.

طُبع كتاب اسمه (قوات التدخل السريع) سنة ١٩٧٦م وترجم إلى اللغة العربية سنة ١٩٨٣م، وللأسف نحن أمة لا تقرأ، في سنة ١٩٨٣م طُبع مترجمًا إلى اللغة العربية اسمه (قوات التدخل السريع)، ووزِّع وبيع أكثر شيء في السعودية، هذا الكتاب موجود فيه مخطّط حرب الخليج التي حصلت في سنة ١٩٩١ بالكامل وأنه ستفتعل حربًا، وكان الأمريكان منقسمين في أنفسهم هل ندخل أو لا ندخل؟

[٢١] حديث البيداء هو ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢١١٨) عن عائشة -رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يُخسف بأولهم وآخرهم» قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم».

[٢٢] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٥٣٧\٢٨: "فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته – المكره فيهم وغير المكره – مع قدرته على التمييز بينهم مع أنه يبعثهم على نياتهم فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميزوا بين المكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك"اهـ

وضعوا هذا الكتاب وقالوا سنفتعل حربًا، وقالوا السعودية عليها خطران من إيران ومن العراق، فقالوا سنفتعل مشكلة مع أحد هاتين الدولتين تبرر دخولنا، فإذا دخلنا لن نخرج، الصناعات الغربية كلها تدور على البترول، وآخر التحليلات العلمية تبين أن البترول المعلوم سيستمر في التدفق على الأقل لمدة مائتين سنة.

الآن كُشف في سوريا احتياط بترول بحجم احتياط السعودية، ولا أحد يعرف هذا، والأمريكان يستغلوه ويخرجوه ولا أحد يكتب عن هذا إلا بعض مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية، أصبحت سوريا منتجة للنفط بكميّات هائلة، ولم تدخل في (الأوبك) حتى لا تلفت النظر.

فالبترول سيستمر في السعودية على الأقل لمدة ٢٠٠ سنة، فإذا ذهب البترول فهناك سلاسل جبلية قرب المدينة برمَّتها ذهب، لا أقول منجم ذهب كيلومتر أو اثنين أو عشرة، بل سلاسل جبال كلها مناجم ذهب، ثم المعادن وغيرها.

نتيجة ثقب الأوزون الذي ربما قرأ بعضكم عنه فستحدث تغيرات جوية في الأرض، وهذه التحولات الجوية ستُثبت معجزة تنبأ بها الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن جزيرة العرب ستعود جنّات وأنهارًا [٢٣].

الآن تقارير مراكز الدراسات تقول أن سهول القمح الموجودة في الولايات المتحدة والتي تنتج كميّات هائلة من القمح في العالم ستتحول إلى صحراء قاحلة خلال ١٠ سنوات نتيجة ثقب الأوزون والتغيرات الجوية، وستتحول وتتركّز سهول القمح -حسب دراساتهم- إلى منطقة الربع الخالي والمنطقة الشرقية في جزيرة العرب.

والمنطقة الثانية التي ستتحول إلى سهول قمح هي الصحراء الغربية في مصر الفاصلة بين مصر وليبيا، ولذلك عندما نزلت قوت التدخل السريع بدأوا يبنون مطاراتهم وقواعدهم العسكرية بلا أي مبرّر في هذه المناطق الخالية من أي استراتيجية عسكرية، ولكنهم بنوا مستعمرات وبدأوا يجهزون لمستوطنات؛ حتى يكونوا مسيطرين على غذاء العالم خلال ١٥ سنة عندما تتحول هذه المناطق إلى سهول قمح.

---

[٢٣] أخرج الإمام مسلم في صحيح (١٥٧) عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة مال هـ فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا).

هذه الحسابات لم يفقهها العلماء ولم يقرأوها ولم يدروا عنها، ولذلك يروي لي البارحة أحد الإخوة أنّ ابن عثيمين سئل ما حكم حاكم لبنان؟ فقال لهم: مسلم، قالوا له: يا شيخ هو نصراني، فقال لهم: "أعوذ بالله حاكم لبنان نصراني؟"، فإذا صحّت هذه الرواية وتصح عنه وعن أمثاله كثير منها، الرجل لا يعرف ما يدري ما يدور على وجه الأرض، ونحن نريد فقط أن نسقط الكفاءة عن هؤلاء الناس، ونقول هؤلاء الناس ليسوا حجّة في دين الله فيما يتعلق بمواضيع السياسة. ولا نريد أكثر من هذا.

لا أريد أن أطيل وأخرج عن الموضوع، أقول: هؤلاء الناس جاؤوا لهذه البلاد بمخطط مبيّت، كان عدد الجيش السعودي كان ٣٥ ألفًا، تصوّر أنّ دولة الكبيرة التي عدد سكانه ٨ ملايين على الأقل وبهذه الثورات جيشها ٣٥ ألفًا فقط، فقاموا في الفترة ١٩٧٦-١٩٨٠ بعملية تحديث للجيش السعودي وبنوا منشآت لرفع عدد الجيش السعودي كما أعلنوا، فرفعوا عدد الجيش السعودي من ٣٥ ألف إلى ٤٨ ألف، ولكنهم بنوا مواقع عسكرية تستوعب ٦٠٠ ألف جندي، والذي لفت نظر الناس أنّ هذه المواقع مبنية بأسلوب لا يتناسب مع عقلية الجيش السعودي، يعني بنوا كفتريات ومطابخ للهمبرغر، ولكن الناس فهمت القضية عندما نزلت الجيش الأمريكي من ٦٠٠ جندي في مواقع مبنية قبل عشر سنوات، وفيها مطابخ ومسابح تتناسب مع طريقة الجيش الأمريكي.

ومثل هذا يحصل في الأردن، الآن الخط والواصل بين الإتشفور والرطبة (المناطق على المثلث العراقي السوري الأردني) هي استطرادات مبنيّة بعرض ٤٠ متر وطول ١٠-١٥كلم، وهي منطقة خالية لا تمر بها سيارة كل ثلاثة أيام، لماذا؟

كل المحلّلين العسكريين قالوا السبب حتى تستطيع إسرائيل -فيما لو تدخلت القوات العراقية- أن تقوم بعملية إنزال ميكانيكي على هذه المدرجات، فتستطيع أن تلتف على أي قوة موجودة على الحدود بأن تقطع الإمداد من جهة العراق من جهة سوريا بهبوط طائرات على المدرجات، فهم لا يستطيعون أن يبنوا مطار في الصحراء لعدم وجود مبرّر؛ فبنوا استطرادات، بنوها للإسرائيليين منذ ٥ سنوات حتى تستطيع إسرائيل أن تنزل في أي وقت، وهذا نشرته كثير من مراكز الدراسات الأجنبية.

فهذا الكلام حاصل، وموجود ويعرفه كل الناس، وأنا كنت عشت في أوروبا فترة، والبارحة كنت أسأل أحد الإخوة أنه هل يجوز أن نأتي بأشرطة الفيديو التي عُرضت في الإعلام عن القوات الأمريكية في الجزيرة، وطبعًا الإعلام الموجود في بلادنا غير الإعلام الموجود في الغرب، فهناك الإعلام مفتوح ويروي كل شيء، وأنا رأيت أفلامًا خرجت في التلفزيونات الغربية عن حياة الأمريكان في الجزيرة.

تصوّر أن البنات الأمريكيات لهم فرق كرة قدم، وهم ٣٠ ألف فتاة موزعون على عدة فرق، يعني بدون قياس مثل ما هنا فريق الجماعة يلعب مع فريق كذا؛ هم عندهم فريق البنات اللواء كذا تلعب مع فريق البنات اللواء كذا، وأنا رأيت مقاطع من دوري بنات الجيش الأميركي يلعبون في المنطقة الشرقيّة. دوري نسائي لكرة القدم، تصوّر البطر، فهو احتلال كامل!.

وهذا الكلام ليس على مستوى الجزيرة فقط، بل مرتّب على مستوى الجزيرة وعلى مستوى مصر وعلى غيرها، لو تحسب الحوَّامات مع القطع الأرضية والقطع البحرية تجد سورًا مضروبًا من اسطنبول إلى طنجة ومن طنجة إلى الفلبين، بالإضافة لكل مطارات أوروبا، فنحن في حالة احتلال تتضافر به القوات اليهودية والغربية تضافرًا كاملًا.

فالآن نحن في حالة حرب مع هؤلاء، وهؤلاء هم العدو الأساسي، أما جرابيع الحكام عندما فسواء ذهب حسن وجاء حسين وذهب عبد الناصر وجاء السادات؛ فهؤلاء بيادق يوضع فلان ويرفع فلان، ولكن نحن لا نستطيع أن نبدأ حربنا مع اليهود الأمريكان إلا أن نمر بهؤلاء، فهم الأداة المنفذة، والغرب يحقق هذا الاحتلال بهؤلاء الحكام المرتدين.

وهؤلاء الحكام الآن يُؤمَرون بأعمال الآن هي ضد مصلحتهم، يعني الملك حسين ليس من مصلحته أن يُفضح على الملأ ويحضر مؤتمر السلام، وكلّ الشعب الأردني والفلسطيني ضد مؤتمر السلام، حتى أن حافظ الأسد سئل عدة مرات لماذا لم تذهب مع السادات إلى القدس؟ فقال لهم: "كنت أعلم أنّني لو ذهبت مع السادات فإنّي سأعود وتنتظرني منصّة كمنصّة السادات"، فلا يستطيع أن يورّط نفسه مع الناس، كان يعلم أن هناك وجود للإسلاميين في سوريا يمكن أن يقضي عليه.

ولكن الآن حتّى الحكّام العملاء هؤلاء يُؤمَرون بما هو ليس من مصلحتهم، لأنه من المقرّر أن تقوم إسرائيل الكبرى بشكلها الجغرافي أو المعنوي قبل سنة ٢٠٠٠م، في مخططاتهم أن تقوم إسرائيل الكبرى عام ٢٠٠٠م وأن تتنصّر كامل إفريقيا قبل عام ٢٠٠٠م، هذه المخططات كتبوا عنها وهناك بحوث ودارسات ومقالات صحفية وكتب موجودة.

فهذا هو الخط الأول الذي نقاتله، ولكن هذا الخط من الكفار والمرتدين يتترس بطبقة من العلماء وقادة العلماء وقادة العمل الإسلامي؛ وهذا الأمر إذا لم تفهموه فلن تستفيدوا من كل هذه الطلقات التي تطلقونها هنا في أفغانستان،؛نحن هنا نؤدّي فريضة ولكن نُعدّ لجهاد آخر، والجهاد لا ينتهي وليس هذا جهادنا الأول، جهادنا الأول كل واحد في قضيته، الله –سبحانه وتعالى- أمرنا قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً}[٢٤]، فكل واحد منّا عنده من يليه من الكفّار، نحن تجمَّعنا هنا حتى نؤدي فريضة؛ ولكن لن نستطيع أن نقاتل إلّا إذا تدرّبنا على السلاح وبطريقة تناسب معركتنا الأساسية، ونحن لن نرَ في مناطقنا مثل هذه الجبال في أفغانستان، ولعلّ من أكثر من سيستفيد من هذا الجهاد الذين سيقاتلون في مناطق مثل الجزائر والمغرب واليمن، ولكن قبل أن يصل لهذه المرحلة فسيشتبك مع مخابرات ومع ظرف آخر.

أريد أن فقط أن تفهم في هذه الجلسة أن الخط الأول الذي نقاتله هو اليهود والنصارى، والرسول –عليه الصلاة والسلام- بشّرنا بهذا فقال: (فارس نطحة أو نطحتان؛ ثم لا فارس بعدها أبدًا، والروم ذات القرون أصحاب سحر وصحر، كلما ذهب قرن خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر، هم أصحابكم ما كان في العيش خير)[٢٥]، فمعنى الحديث أنها ستُفتح جزيرة العرب وفارس بسهولة، أما الروم معركتنا معهم إلى قيام الساعة، فنحن معركتنا مع هذا المثلث الواضح؛ حلف اليهود والنصارى والمرتدين، فهم جاؤوا بالمرتدين ووضعوهم

---

[٢٤] سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

[٢٥] يقول الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٩٩٩): "رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٧/ ١٤٧/ ١) : حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو السيباني، عن ابن محيريز مرفوعاً. ورواه الحارث في "مسنده" (٨٦/ ١–زوائده) ، وابن قتيبة في "غريب الحديث" (١/ ٣٦/ ٢) من طريق آخر، عن أبي إسحاق، عن الأوزاعي به. وكذا رواه الواحدي في "الوسيط" (٣/ ١٨٣/ ١) ، والثعلبي في "تفسيره" (٣/ ٦٦/ ٢). قلت: وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه مرسل؛ لأن ابن محيريز – واسمه عبد الله – تابعي مات سنة (٩٩) ." اهـ

سترًا أمامهم، فهم عندهم الجندي غالي فيقاتلوننا بأبنائنا وبأموالنا وفي أرضنا، المعركة كلها عندنا، وهكذا فعلوا قديمًا؛ إنجلترا كانت تحتل الأردن بجيوش الهند، وفرنسا تحتل سوريا بجيوش السنغال، وهكذا.

فالخط الأول هو اليهود والنصارى، والخط الثاني هم الحكّام، والذي ليس مقتنعًا أنّ الحكّام كفّار أو عنده غبش في هذه النقطة؛ فليترك أي تدريب عسكري، ويترك أي جبهة، ويذهب ويبحث عن الحق في هذه المسألة؛ لأنه إذا لم يكن الحكّام كفرة فليس هناك حاجة لجاهد وإعداد، إذا الحكام فسقة فجمهور أهل اسنة على أنهم يجب طاعتهم ويجب السمع والطاعة لهم، ويجب أن لا نبايع رجلًا آخر مع وجود واحد منهم، فكيف نناقض أنفسنا وندعو إلى جماعات ونأخذ بيعات ونعمل كتلًا ونحن مقتنعون أن هذا الحاكم ليس كافرًا!.

أحد أمرين؛ إذا هو مسلم فنحن بغاة، وإذا نحن على الحق فهم كفّار، وأنا كنت أقول لهم عندما اختلفنا في موضوع الشيعة؛ كنت أقول: "إذا كان الشيعة مسلمون يتّهمنا أننّا من الفرق ٧٢ الضالة، لأن الرسول –عليه الصلاة والسلام– قال واحدة ناجية والباقية في النار"، فإمّا نحن أو هم، الذي يقول أن الشيعة مسلمون فنحن في الفئة الضالة، والذي يقول الحاكم مسلم فنحن بغاة.

إذًا السور الأول هم اليهود والنصارى والسور الثاني هم الحكّام، وهؤلاء الحكّام حتى يقاتلونا تترّسوا بالعلماء المنافقين الذين معهم، يعني مثل شيخ الأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف وهؤلاء الناس الذين أمرهم واضح، ولكن هذا الصنف انفضح وفشل وعُرف، فأصبحوا محتاجين أن يتخذوا ستارًا آخر لم يتبيَّن أمرهم للناس، فبدأوا بعلماء لهم سمعة حسنة فورّطوهم بالخوف أو بالمناصب أو بالمال، نسأل الله العافية، فهؤلاء الناس يُفتنون بمختلف الأشكال، ثم لم يكتفوا بالعلماء فجاؤونا وغزونا في عقر دارنا وبدأوا يجنّدون الحركة الإسلامية ضد الجهاد.

فالآن نحن نقاتل على أربعة صفوف؛ اليهود والنصارى تترّسوا بالحُكّام، الحُكّام تترسوا بالعلماء، وتترسوا أيضًا بالطبقة الرابعة من الحركات الإسلامية، وهؤلاء الناس يعرفون أن في الموضوع قضية شرعيّة وقناعة ودين ومبادئ في الموضوع الحرب، فيجب أن يسحبوا هذه الشرعية عنّا.

حقيقة الديمقراطية والموقف منها:

نيكسون ذكر في مذكراته، وهي مطبوعة ومنشورة باسم (نصر بلا حرب) وقد رَسَم فيه كثير ممّا يحصل في العالم الآن، وهو من كبار مخطّطي السياسة الأمريكية، هو وكارتر لهم كتابات كثيرة في هذا المجال. فهو قال: "نحن في الغرب لنا رسالتان واحدة سياسية وأخرى اقتصادية؛ الديمقراطية والرأسمالية". يعني نحن رسالتنا الإسلام والشيوعيون رسالتهم الماركسية، ورسالة الغرب تنحصر في النظام الاقتصادي الحر والديمقراطية، يعني أن يفرضوا الرأسمالية والديمقراطية على الناس، يعني هم يريدوننا في السياسة ديمقراطيين وفي الاقتصاد رأسماليين حتى نكون مثلهم.

ولكن عندما بدأوا يطبقون الديمقراطية وجدوا أنّها على ضلالها قد تأتي بالإسلامين فبدأوا يقولون: "نريد ديمقراطية بلا إسلاميين"، يعني الديمقراطية إذا كانت ستأتي بالإنقاذ فلا نريدها، حتى أن ميتيران [٢٦] قال: "إذا نجحت الإنقاذ سنعمل إنزالًا فرنسيًا عسكريًا كما فعل الأمريكان"، ويا ليتهم يفعلوها لعلّه يصير وضع الجهاد هناك أفضل.

فهذا الترس الذي تترّسوا به نحن بحاجة لأن نقاومه، ولكن هل نستطيع أن نحمل السلاح على العلماء؟ قلنا لا نستطيع أن نقتل الأمريكان فنقاتل الحكام لأنّهم كفرة مرتدّون، ولكن هل نستطيع أن نستخدم نفس المنطق فنقول باعتبار الحكّام تترّسوا بالعلماء وقادة العمل الإسلامي فنقتل العلماء وقادة العلم الإسلامي؟

هذا الكلام إن جاز شرعًا لكونهم من الطائفة لم يجز مصلحةً أبدًا؛ لأنّ هناك عملية اختلاط، أولًا معظمهم لم يقع في الكفر العيني لعدم انتفاء كثير من الموانع، والأهمّ من هذا أن هؤلاء الناس حولهم طوائف مخدوعة بهم، فليست كل قضية جائزة يمكن أن نعلمها، هي جائز من حيث الإجازة الشرعية ولكن من باب المصلحة الكبيرة والمفسدة العظيمة قد ينتفي عنها الجواز.

---

[٢٦] فرنسوا ميتيران الرئيس الفرنسي في الفترة (١٩٨١–١٩٩٥).

فأريد أن أبيّن أن قتالنا مع اليهود والنصارى بالسلاح، ومع الحكّام بالسلاح، ومع العلماء وقادة العمل الإسلامي المنحرفين بالحجّة والبيان والدليل الشرعي، وبعض إخواننا يريدون أن يسحبوا منّا حتى هذا السلاح، وهذا ليس من الإنصاف، أن يقولوا لنا لا تقاتلوهم بالحجة والبيان والدليل الشرعي، الله –سبحانه وتعالى– قال: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}[٢٧].

انظر الآن الأمريكان ماذا يريدوا منّا؟ يريدون منّا أن نكون رأسماليين في الاقتصاد حتى يتسنّى لهم متابعة نهب العالم الإسلامي، ويريدون أن نكون ديمقراطيين في السياسية، وهذا ليس لحرصهم علينا، والديمقراطية خدمت المجتمع الغربي خدمة عظيمة، وللإنصاف نقول لعلّ أفضل نظام أرضي وُضع من قبل البشر على الأرض عبر التاريخ هو النظام الديمقراطي، النظام الديمقراطي هو أفضل نظام ابتدعه البشر على وجه الأرض، ولكنه لا يُقارَن بالنظام السماوي الذي وضعه الله –سبحانه تعالى– وهو اللطيف الخبير {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٢٨]. أنزل الله تعالى نظامًا يناسب الفطرة البشرية وهو النظام الإسلامي الذي نحاول أن نفرضه على الناس.

ولكن بين البشر إذا أردت أن تقارن النظام الشيوعي الديكتاتوري العسكري والقتل والسحق بالنظام الديمقراطي، فستجد أن النظام الديمقراطي أفضل، كونه نظامًا أفضل ملك من أسباب البقاء أكثر من النظام الشيوعي ولذلك قضى عليها، هامش الحريّة الموجود في العالم الغربي هو الذي مدّ في حياة الرأسمالية أكثر من حياة الشيوعية، وهنا كلام جميل للشيخ عبد الله عزام في كتاب (الإسلام ومستقبل البشرية)؛ تنبّأ الشيخ وتوقّع أن سقوط الحضارة الشيوعية سيكون أولًا، وقال أن هامش الحرية الموجود في العالم الغربي هو السبب.[٢٩]

ولكن هل هم يردون منّا أن نكون ديمقراطيين لأنهم يحبّوننا ويريدون منّا أن نستمتع بالديمقراطية؟

---

[٢٧] سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

[٢٨] سورة الملك، الآية: ١٤.

[٢٩] يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في (الإسلام ومستقبل البشرية): "أقول: إن ألم الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سنًا وأصغر عمرًا ، أراه يلوي على نفسه ويتدلى بسرعة ويفقد بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشيوعية –الفرع الشرقي– أسرع والله أعلم؛ لأن بقية نسمات الحرية في الفرع الغربي، بقية الأقلام التي ما زالت تنقد وتحذر، بقية العقول التي لم توضع في داخل الطوق الحديدي، ما زالت تشير إلى النهاية الرهيبة، بقية الأفواه المكممة ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة التي ستسقط فيها البشرية. فأوروبا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربي في قيادة البشرية، وأي حضارة هذه التي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإسلام، دين الله الذي ارتضاه للناس منهاجًا وإمامًا ." اهـ

لا، هؤلاء الناس عندهم من الخبراء والبحّاثين والمُستشرقين والمُنصِّرين والسيّاح والتجّار وكل الجيوش المدنية؛ ما يوفّر لهم كميّة من المعلومات بحيث يعرفون خصائص هذه المجتمعات، ويعرفون تمامًا أن النظام الديمقراطي إذا وُجد في بلادنا فهذا سيعني أمرًا هامًا جدًا بالنسبة للغرب، يعني أنه سيكون هناك دائمًا أكثر من حمارين يتنافسان على السلطة، فيكون عند الغرب دائمًا إمكانية أن يستغلهم، كما يقول المثل العامّي: "إذا تسابقت الحمير من حظ الركاب"، يعني عندما يحصل التنافس بين الحمير يصل الركاب بسرعة؛ لأن كل حمار يريد أن يسبق الثاني.

لاحظ هنا في باكستان، مختصر السياسة الباكستانية أن كلّ حزب من أحزاب المعارضة يريد أن يقول لأمريكا: "نحن نخدم مصالحكم أكثر"، يعني اسمحوا لنا أن نخدم مصالحكم أكثر، فيجد الغرب دائمًا عن طريق منافسة هذه الأحزاب منفذًا إلى هذه البلاد. ولكن وقع الغرب في ورطة، أنه ضمن هذه المنافسات استطاع بعض الإسلامين أن يجدوا هامشًا للمنافسة، فهو الآن يريد أن يضع العوائق حتى يحصر ما قد تستفيد منه الحركات الإسلامية من الديمقراطية حتى يبعدها.

أولًا نحن كمسلمين بقبولنا بمبدأ الديمقراطية نكون قد ابتعدنا عن منهج الله -سبحانه وتعالى-، وموضوع تناقض الديمقراطية مع الإسلام كُتبت فيه كتب، ولعلّ من أفضل من ما كتب من الموجزات كتاب (الكفر البواح في...)، فيه بحث جيّد جدًا عن تناقض الديمقراطية مع منهج الإسلام، لو أردت أن تترجم كلمة الديمقراطية ترجمة حرفية فقط فهي تعني (حكم الشعب)، فهي تعني ردّ السلطة إلى الشعب والنزول على رأي الأكثريّة، وهذا النظام اخترع قبل ٥٠٠ سنة قبل الميلاد، ومختصر الأمر أن تنزل الأقليّة على رأي الأكثريّة، فما تراه الأكثرية صحيحًا فهو صحيح، وما تراه خطأ فهو الخطأ، وما تراه الأكثرية حلالًا فهو الحلال، وما تراه حرامًا فهو الحرام، فالموضوع موضوع أكثرية، فإذا قالت الأكثرية: "نحن نريد الزنا وهو يناسبنا جدًا" يصير الزنا مباحًا، هذا هو مختصر الديمقراطية.

الديمقراطية تتناقض كلًّا وجزءًا مع العقيدة الإسلامية التي تُرجع السلطة إلى ربّ العالمين، نحن ننطلق من مبدأ بسيط هو {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}[٣٠]، وهم ينطلقون من مبدأ بسيط (إن الحكم إلا للأكثرية)، وهذا المبدأ يتناقض مع مبدئنا، فنحن كمسلمين بمجرد أن نتنازل ونقبل منهم هذا يعني أنّنا تنازلنا عن عقيدتنا، فالديمقراطية تتناقض ابتداءً مع العقيدة الإسلامية، ولا يجوز فيها التأوُّل، والمتأول في هذا كمن يريد أن يتأول ويقول الخمر فيها منافع للناس فيُحلّها أو يتأول في الربا، أو غير هذا، هذا الموضوع لا يجوز.

وهم يريدون من الحركة الإسلامية أن تكون ديمقراطية ولكن على هامش الخط الأحمر، وبمجرد أن تصل الحركة الإسلامية للخط الأحمر لا يقبلون بالديمقراطية، فهم عندما يقولون نريد من الحركة الإسلامية أن تكون ديمقراطية يقصدون أمرًا واحدًا فقط؛ يقصدون: نريد من هؤلاء الناس أن لا يحكموا، فإذا كان الخيار بالنسبة للغرب أن يسمحوا للحركات الإسلامية بالدخول في البرلمان أو أن تحمل السلاح؛ فالأفضل بالنسبة لهم أن يكونوا ديمقراطيين؛ لأنه من خلال دخولهم في الديمقراطية والبرلمان والكراسي يفرّغون عزائهم نهائيًا، ولا يصبح عندهم قدرة قتالية، فينزعون سلاحهم ويدخلون في الكراسي.

ودائمًا المشكلة أنّ ديمقراطية الشرق تختلف عن ديمقراطية الغرب؛ الشعب الغربي ديمقراطي منذ خلقه الله، يعني الديمقراطية لها أكثر من ٢٥٠٠ سنة في الغرب، فتأصّلت وتأطّرت وأصبحت في أفضل صورة، وليس عندهم ملك أو رئيس جمهورية يستطيع أن ينقُض أمرًا أقرّه البرلمان، ولذلك تجد الديمقراطية تُؤتي أُكُلها عندهم، أما عندنا فأضرب لك مثالين صارخين في الأردن وفي مجلس الأمّة الكويتي عن الديمقراطية الإسلامية.

عندما بدأ يصير هناك أغلبية أو وزن للحركة الإسلامية في البرلمان الأردني؛ فخرج الملك حسين بالأمس وقال: "سنجمِّد اجتماعات البرلمان بمناسبة انعقاد مؤتمر السلام"، وانظر لقلة الحياء العجيبة؛ يعني لأنّ الناس إذا كانت هناك حريّة وتكلم فستحدث قلاقل أمنيّة، فنحن نقدّم مصلحة البلد على مصلحة البرلمان!، فالرجل من قصره يدير الأمر ويلغي الوزارة التي يريد ويقيم التي يريد ويلغي البرلمان متى شاء، فهذا ليس ديمقراطية. يعني حتى إذا كنتم تريدون الديمقراطية فهذا ليس ديمقراطية.

---

[٣٠] سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

والذي حصل في الجزائر نفس الشيء، قالوا لهم "ادخلوا في الديمقراطية"، فلمّا دخلوا اكتسحوا النتائج، والناس عندها تعطّش للإسلام، فلمّا فازوا ووصلوا قالوا لهم: "لا نريد موضوع الديمقراطية، خلاص انتهت الديمقراطيّة".

الكتلة الإسلاميّة في مجلس الأمّة الكويتي، وهي تُسمَّى إسلامية تجاوزًا؛ فأصلًا الإنسان يخلع عنه الإسلام قبل أن يدخل للبرلمان، الإسلام لا يسمح للمسلم أن يجلس في البرلمان بجانب الشيوعي، والله -سبحانه وتعالى- يقول: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}[31]، وفي النظام الديمقراطي الذكر كالأنثى، هي لها صوت وأنت لك صوت، وإن كان صوتها أنعم من صوتك!، والله -سبحانه وتعالى- يقول: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}[32]، وهم عندهم المسلمون كالمجرمين، فالشيوعي بصوت والمسلم والنصراني بصوت، فهذا النظام يتناقض مع الإسلام كلًا وجزءًا، فعندما أقبل أنا بهذا أكون نزلت لمستواهم، وجعلت نفسي بقيمتهم، وسأُحشر بهذه الزُّمرة وهذه القناعات والله أعلم، ولكن مع ذلك وضعوا مجموعة من العراقيل بحيث لا يصل الإسلاميين.

أمّا في الغرب فالبرلمان يستطيع أن يحلّ أكبر وزارة ويغيّر أضخم قرار، وليس هناك سلطة فوق سلطة البرلمان أبدًا؛ اللّهم إلّا سلطة خفيّة غير بادية للعيان هي سلطة الرأسماليين، أن هؤلاء الناس يغيرون رأي الناس عبر الإعلام، فيغيرون رأي الشعب برضاه ولكن عمليًا لا أحد يتجاوزه، يعني إذا أرادوا أن يغيروا قرارًا فقبل فترة يبدأون بحملات التلفزيون والدعايات والصحف؛ فالناس من تلقاء نفسها تصبح منوَّمة مغناطيسيًا وتتخذ القرار الذي يريدونه أولئك.

ومع ذلك عندما تتصادم الديمقراطية مع مصلحة الدولة العليا يتجاوزونها، كما قال وزير الثقافة الفرنسي من قبل شهر تقريبًا، قالوا له: "إذا عملنا إحصاء في فرنسا فالناس ضد حرب الخليج"، فقال لهم: "في قضية فيها أمن فرنسا ومصلحة فرنسا العليا اضربوا بعرض الحائط ٩٠٪ من الرأي العام". وهذا الكلام ينسف الديمقراطية من جذورها، ومع ذلك فعلوه، وأصدروا قرارًا بمنع المظاهرات في موضوع حرب الخليج، فرنسا التي تفخر بأنّها أمّ

[31] سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
[32] سورة القلم، الآيات: ٣٥-٣٦ .

الديمقراطية وأمّ الثورة الفرنسية ومبادئ حقوق الإنسان، قالت في حرب الخليج لا نريد مظاهرات وانتهى الموضوع.

فمن الناحية العملية الحقيقية ليس هناك وجود للديمقراطية بالمفهوم الموجود في الكتب على وجه الأرض، يعني ما كُتب عن الشيوعية على طريقة ماركس لم يحصل على وجه الأرض، وما كُتب عن الديمقراطية على طريقة أفلاطون والفلاسفة لم يحصل على وجه الأرض، ولكن مع ذلك ديمقراطية الغرب غير ديمقراطية المسلمين، فديمقراطية المسلمين هي للكفرة فقط، ومع ذلك يريدون منّا أن ندخل في هذا المجال فقط حتى لا نحمل السلاح.

لا سبيل لالتقاء الجهاديين والديمقراطيين:

وقد يأتي أحدهم ويقول لك: "يا أخي احمل السلاح وجاهد على كيفك، واترك من يريد أن يجاهد في البرلمان أن يفعل"، وقالوا هذا كثيرًا، الإخوان المسلمون غزو هذه الساحة الجهاديّة حتى يقنعوا الناس بالديمقراطية، من عشرات حلقات إلى الآن وال(..) تكتب عن الديمقراطية وترشّحهم في الانتخابات.

فكون هؤلاء الناس يرسّخون مفاهيم في وسط جهادي لا يستطيعون أن يقولوا لا نريد السلاح، هم يريدون أن يوصلوا لنا فكرة بسيطة وهي: "أنتم إذا أردتم السلاح قاتلوا بالسلاح ولكن اسمحوا أن يجاهد غيركم عبر الديمقراطية والبرلمان"، هذا الكلام لا يجوز، وأنا لا أستطيع أن أتركه، يجب أن أبني فكري على الهدم والبناء، فبقدر ما أهدم من الباطل أستطيع أن أبني من الحق، ولا أستطيع ان أقول له اسمح لي وأسمح لك.

بل أقول لك أن مجرّد وجود هؤلاء حرب علينا، ومجرد وجودنا حرب عليهم، والسبب في هذا ما بيّناه البارحة في موضوع (حرب العصابات) أنّ أهم بند من بنود حرب العصابات أن نكسب نحن الناس ونعبّئهم في هذا الجهاد، والناس بغريزتهم وبخنوعهم للأرض أقرب للحراك السلمي والحياة الرغيدة منهم للجهاد والقتل والتشريد وهتك الأعراض، فعندما يأتي نظام ويقول إذا تريد الإسلام فالإسلام يُحَصَّل في البرلمان، ويرى كم

واحد من المسلمين في البرلمان يتكلمون ويصرخون؛ فالإنسان العادي تلقائيًا سيبدأ ينسلخ عن فكرتك وتصبح أنت بالنسبة له غريبًا ومتطرفًا وأصوليًا وسيقول لك: "الإسلام قد تحقق".

حتى أن أحد الإخوة في جماعة الجهاد حكى لي أن ضابط المخابرات كان يتكلم معه بكلام بذيء ويقول له: "يا ابن كذا وكذا، ألست تريد دولة الإسلام والمسلمين؟ يعني ضروري تذهب للسلاح والمتفجرات اذهب للإخوان المسلمين"!، فهم بجلوسهم في البرلمان يوهِمون الناس بتطبيق الإسلام، والعلماء كل يوم يقولون: "القانون ٩٥٪ منه من الشريعة الإسلامية".

فمجرد سحب الناس إلى الحل الديمقراطي هذا يعني سحب البساط من تحت الجماعات الجهادية، فبمجرد وجوده يُسحب البساط من تحت أقدامنا، ومجرد وجودنا حرب عليه، فأنا أقاتل النظام الحاكم، والنظام الحاكم يتكون من الرئيس ونوابه والوزراء ونوابهم والجهاز التشريعي البرلمان، فعندما أدخل في قتال مع الدولة فهذا يعني أنّي سأدخل في قتال مع الرئيس والوزراء والبرلمان، وعندما يشارك المسلمون في البرلمان فهذا يعني أنني دخلت في قتال معهم، يعني مجرّد أن أهاجم وزارة أو أهاجم برلمان أو أضرب دورية فسيكون هناك أناس من هؤلاء.

فنحن الجهاديون والديمقراطيون البرلمانيون لا نلتقي ولا نوجد في ساحة واحدة، ووجود طرف يعني نسف الآخر، فإذا كنّا مقتنعين أن طريقهم صواب فيجب أن نحلّ أنفسنا ونكسر بنادقنا، وكل واحد منا يحمل ورقة وقلم ويذهب ليصوّت في البرلمان، وجودنا يعني إنهاء الحل الديمقراطي، فهؤلاء الناس يريدون منا أن نكون ديمقراطيين لهذا السبب.

القضية الأخرى؛ أن هؤلاء الإسلاميين الذين دخلوا البرلمان لم يكتفوا بأن دخلوا البرلمان وتركونا في حالنا كما يقولون، وقالوا أنتم جاهدوا ونحن سنجاهد في البرلمان؛ بل عندما احتاجهم الملك وعندما احتاجهم رئيس الجمهورية سخّروا أصواتهم وبدأوا ينعقون مع الباطل، وأضرب لك مائة مثال.

في الأردن عندما بدأت العمليات تحدث في الضفّة؛ خرج يوسف العظم وهو وزير سابق لوزارة الشؤون الاجتماعية وعضو في البرلمان ومن أعرق الديمقراطيين الإسلاميين، وفي مهرجان في (إربد) حضر ٦٠ ألف

شخص؛ ندّد بالشباب الذين يجاهدون في الحدود مع إسرائيل، وقال: "هؤلاء الناس طائشون ومتهوِّرون ويضربوا مستقبل العمل الإسلامي ونحن حقّقنا مكاسب". وما هي المكاسب التي حقّقها؟ فصل الموظفين عن الموظفات في دوائر العمل!.

فليته تركنا لنجاهد في الحدود وذهب هو ليجاهد بطريقته ويجلس مع الموظفين أو مع الموظفات أو مكان ما يريد ويتركنا في حالنا، ولكنه دخل على الخط وبدأ يسفِّه بأفكارنا، فلماذا يجوز له أن يدخل على الخط ويسفّه أفكارنا ويعتبرنا طائشين ومتهورين ونحن لا يجوز أن نعترض عليهم؟! وبيننا وبينكم كتاب الله، تعالوا لنتحاكم كما قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}[٣٣]، من الأقرب للإسلام ومن الأقرب للضلال؟

عودة للحديث عن انحراف العلماء والدعاة والموقف منه:

ولذلك أقول لكم كلّ هؤلاء الناس ينصرون النظام العالمي الجديد، وعندما اشتبكنا نحن مع الديمقراطيين وقلنا "لا يجوز الدخول في البرلمان"، تترس هؤلاء الإسلاميون بابن باز مباشرةً، وقام ابن باز قبل سنة بإخراج فتوى بجواز دخول الحركات الإسلامية للبرلمانات، وهذا الرجل مَثَلُه كمهندس كهربائي يرى ابنه مريضًا فيفتح بطنه ويعمل له عملية فيقتله؛ فأنت متخصص في الكهرباء فلماذا تريد أن تفتح بطن الشريعة؟! ولماذا تفتي في قضايا لا تفهم فيها، وبلادك كلها ليس فيها برلمان وأنت لم تسمع بالبرلمان من قبل، ثم تفتي لبلاد لا تعرف ما فيها وما هو البرلمان وهي الألاعيب التي في البرلمان.

فخرجت علينا فتوى أن ابن باز يُجيز الدخول في البرلمان، ثمّ قامت جماعة الجهاد -جزاهم الله خيرًا- بإصدار فتوى شرعية مُقنَّنة ومُرتبة برفض فتوى ابن باز وبرفض فتوى الألباني في مواضيع أخرى، بأسلوب علمي. فهذا الرجل تورّط، ومن الناحية العملية هم تترّسوا به ووقفوا بوجهنا بهذه القضايا.

---

[٣٣] سورة النساء، الآية: ٥٩.

ولذلك يا إخوان اسمحوا لنا أن نقول: نحن حربنا مع اليهود والنصارى بالسلاح ولن تكون إلا بالسلاح، وحربنا مع الحكام بالسلاح، ولن تكون إلا بالسلاح لأنّه عندما يأتي ليعتقلني لن يعتقلني بورد ورياحين، سيعتقلني بالسلاح فلن أستطيع أن أردّ عليه إلا بالسلاح، أمّا حربنا مع هؤلاء المناكيد من الإسلاميين في البرلمان وغيره فيجب أن نجد طريقة نرد بها كيدهم، وهذه الطريقة هي الرد عليهم بالحجّة والبيان وكتاب الله وسنة رسوله. فيخرج علينا البعض ويقول: "حتى هذه الطريقة لا تجوز، وهذا تاريخه في الدعوة كذا، وذاك تاريخه في العلم كذا"!.

فنسأل هؤلاء، ما حجّتكم؟ يعني هل عندكم دليل غير قانون (العيب) مثل الذي أصدره أنور السادات؟

هل عندك دليل أنه لا يجوز الرد عليهم وأن نقول لهم صواب وخطأ؟

صدقني أنا قعدت مع بعض هؤلاء العلماء؛ كما رويت لكم أنني قعدت مع الشيخ سرور صاحب مجلة (البيان) ومجلة (السنة)، زعيم أحد هذه الجماعات السلفية الإخوانية، فشعرت أن الرجل تعقّد مجرّد أن يجد أمامه شاب صغير يجلس ويقول له "هذا حرام.. وهذا حلال"، فهو لا يستطيع أن يتصور أحد أبناء الجيل الصغير الذي كنا نربّيه بالأمس يقول لي: "حلال وحرام"، فأنا أقول له أدلّة شرعيّة وأقول له ابن تيمية يقول كذا وكذا، وهو يقول لي: "يعني الآن أنت صرت تفهم رأي ابن تيمية!؟"، ولماذا لا أفهم رأي ابن تيمية ما المشكلة؟!، ثم وصلنا لشجار فقمت أنا وخرجت من عنده، بدأ يسخر فتركت الجلسة وخرجت.

ولمّا تناقشت بهدوء مع محمد العبدة رئيس تحرير مجلة (البيان)، قال لي بالحرف الواحد بعد أن تناقشنا في موضوع البرلمان: "تريد منّي أن أقبل أن همّام سعيد -وهو أحد البرلمانيّين من الإخوان المسلمين الأردنيين-، هذا الداعية الذي خدم الدعوة سنوات طويلة وسُجن في سبيل الدعوة كذا هو كافر؟"، فقلت: "أنا لم أقل أنه كافر"، فقال: "أنت تقول أنه في طائفة الكفر، و(في طائفة الكفر) يعني كافر"، قلت له: "نعم هو في طائفة الكفر، ولكن (في طائف الكفر) لا تعني كافر، وإذا لم تكن درست هذه المسألة فهذا أمر آخر اذهب وادرسها، في طائفة الكفر يعني أنه وقع في نوع الكفر ولعلّ عنده أعذار"، فقال لي: "أنت الآن تقول أنه في طائفة الكفر وفي قفزة ثانية ستقول

كافر"، فقلت له: "والله إذا هو قفز قفزة أخرى فأنا سأقفز معه"، فختم النقاش وقال لي بالحرف: "أنت بقي بينك وبين الخوارج خطوة واحدة". هذا الحديث دار بيني وبينه قبل أربعة أشهر في (....) في مركز إسلامي هناك.

فهؤلاء الناس يحاربوننا بهذا الفكر، ولا يمكن أن أحمل المسدس وأقتله لأن هذا لا يجوز أولًا، ثمّ يترتب عليه مفسدة كبيرة، هو ليس في السلطة حتى أقتله، ولكن عندما يكون وزيرًا كما حصل في الأردن، وزير العدل الأردني أثناء صدام الحكومة بالحركة الإسلامية وهو ابن المراقب العام للإخوان المسلمين اسمه ماجد بن عبد الرحمن، وزير العدل لو تريد أن تترجمها عمليًا فهو وزير (الحكم بغير ما أنزل الله)، يعني إذا قُبض على مجموعة من المجاهدين وأرادوا أن يعدموهم فهو الذي سيوقِّع على الحكم، فهذا داخل في الطائفة المحاربة، يعني لماذا وزير العدل في مصر أو سوريا كافر وهذا ليس كافرًا!، هل لأن هذا له لحية وذاك حليق بدون لحية؟ وما هو المقياس الذي أقيس به أن هذا كافر وذلك غير كافر؟

وقلت لهم نحن إذا أردنا أن نمشي بمنطقكم هذا فستجعلوننا نقرأ القرآن "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون"، الله تعالى قال: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[٣٤]، (...) فكيف أقرأ القرآن مثل ما أُنزل أم بطريقتكم؟! هذا المنطق مرفوض بالنسبة لنا.

أعود للقطان؛ القطان عندما مسخ الله بلده وأنزل فيهم سخطه؛ لم يقل نريد أن نتَّعظ من تجربتنا ونحارب الطاغوت البعثي ونجاهد لنقيم حكومة إسلامية في الكويت"؛ وإنّما قال: "نريد أن نجاهد لنعيد حكومة الكويت الشرعية؛ حكومة آل الصباح"، ثمّ جاء ليكذب عندما سألوه عن هذا في مؤتمر في الجزائر فيما أذكر، فقال: "أنا أخذت وعد شخصي من سموّ أمير الكويت أنه إذا حكم الكويت فسيحكم بالشريعة"!

أولًا هذا رجل كافر ابن كافر، لو تدرسون فقط كيف قامت الكيانات السياسية في جزيرة العرب لعلمتم هذا، وهناك كتاب اسمه (الكيانات السياسية في جزيرة العرب)، آل الصباح هؤلاء عملاء من ٥٠٠ سنة، والإنجليز كان عندهم عدّة عشائر من العملاء، كل واحدة أوسخ من الثانية. فاختاروا (أوسخ) واحد وسلّموها الكويت.

---

[٣٤] سورة المائدة، الآية: ٤٤.

عشيرة البوسعيدي في عُمان هم عملاء من ٨٠٠ سنة، وهناك قصّة لجدّ سلطان عمّان قابوس بن سعيد وهي مكتوبة في الوثائق ومؤرّخة عندهم، كان هناك جزر غنيّة بروث الطيور، فأحد دوقات بريطانيا زارها فأُعجب بالجزيرة، فدخل على جّد قابوس هذا وقال له: "التاج البريطاني طمع في هذه الجزيرة"، فأعطاهم السلطان العُماني خمسة جزر، وهذه مسجلة في التاريخ العلماني وليس في التاريخ الإسلامي، قال: "فأهداه الدوق هذا علبة عصير"، هكذا تجدونها في الوثائق المحفوظة، أعطاه خمسة جزر فأعطاه علبة عصير، يعني كل جزيرة (بمصّة)!، هؤلاء الناس تراكموا على بعضهم وصاروا حكامًا...

فهل يُعقل هذا من عالم وخطيب؛ أن يقول لك أمير الكويت: "إذا انتصرنا سنجعلها إمارة إسلاميّة"، فتذهب وتدعو الناس للجهاد تحت راية آل الصباح، حسنًا لنفترض أنه ليس لك عقل وقبلت هذا الوعد، ثم حصل وتحرّرت الكويت وحنث هذا الرجل بوعده؛ فإذا كنت قبلت وعده فواجبك عندما حنث بوعده أن تخرج للملأ وتقول: "يا ناس حصل كيت وكيت وهذا الرجل يجب أن نجاهده كما جاهدنا البعث". بينما الواقع أنك (رايح وجاي) من صاحب السمو هذا! (......)

أحد الحضور: (....) الصوت غير مسموع.

الشيخ أبو مصعب: لا هو يتكلم على أي نوع من الفساد...

أحد الحضور: (....) الصوت غير مسموع.

الشيخ أبو مصعب: نحن نريد الفساد الخاص.

أحد الحضور: (....) الصوت غير مسموع.

الشيخ أبو مصعب: لا نحن نريد على الخصوص، يا ابن الحلال الوضع القائم في الكويت أن الكويت الآن يحكمها عصابات، كل شيخ عنده عصابة، سحنون عنده عصابة وطحنون عنده عصابة، وبيضون عنده عصابة، وكل عصابة تستقوي على المستضعفين من الفلسطينيين وغيرهم حتى هُتكت الأعراض، دخل رجل فلسطيني

على الشيخ الألباني في عمّان وقال له: "يا شيخ أفتيني ماذا أفعل؟ ثلاث من بناتي أتيت بهم من الكويت حوامل من الاغتصاب".

فما معنى أن يتكلم أو لا يتكلم ويخبّص هذا التخبيص، هذا الكلام هو أقل من القليل، هو حتى يحافظ على وجوده يجب أن يتكلم بشيء، ولكن لماذا لا يقول لهم أن الكويت محتلّة؟ ولماذا لا يقول لهم أنه عندما دخل الجيش الأمريكي جاء الناس بـ(الفتوغرافات) ليوقِّعوا لهم عليها، وهناك بنات فتحوا صدورهم ليوقّع لها على صدرها، لماذا لا يتكلم عن هذا؟! هذا حصل أو لم يحصل؟ والصور التي صوّرت ذلك الماجن يبوس قدم الجندي الأمريكي والبنات يعصّروا الجيش الأمريكي؛ هذا لماذا لم يتكلموا عليه؟ أليس {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}[٣٥]، هذا الرجل سليط اللسان فقط يتكلم على الناس.

وأضرب لك مثالًا بشخص أخف من القطان وهو الشيخ ابن عثيمين، هناك فتوى موجودة في بيشاور اسمها (فتوى في موضوع الجرائد والمجلات)، يتكلم فيها عن مجلة (سيدتي) وهذه المجلات التي تخرجها المجموعة الماسونية لعلي حافظ وهشام حافظ، يقول ابن عثيمين: "هذه المجلات فسق ويجب أن تُخرج من البلاد"، ثمّ يقول "مع من أتكلم في هذا الأمر؟ هل أُكلِّم أولياء الأمر لإيقاف هذه الجرائد، وكيف أكلهم ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[٣٦]..."، والفتوى منشورة وموجودة وإذا جئتم عندي لبيشاور أريكم إياها، يعني لو جدّتي كانت تفتي ربّما كان كلامها أعقل من هذا الكلام، يعني أنت كعالم تفتتي لمن هذا الكلام؟ إذا كلامكم مع الحاكم هو من باب (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)؟ هل كلامك مخصّص للزبّالين والحمّالين في الشوارع؟! أو حتى تنصح الحاكم؟

ثمّ يقول: "وهل أكلّم التجار أن لا يبيعوها، وكيف أكلمهم وهم طبعوها حتى يتكسّبوا بالحرام، فلن يسمعوا منّي، إذًا أكلمكم أنتم أيّها المسلمون هذه الجرائد سحت وحرام وكذا" طيب جزاك الله خير، كم من الناس سمع كلامك؟ عشر أو عشرين؟ وإذا الحاج فلان سمع كلامك فهل هو قادر على منع أن تمرّ بنته على كشك فتشتري المجلة؟ وهل قادر أن يمنع ابنه؟

---

[٣٥] سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

[٣٦] سنن الترمذي: (٢٣١٧)، سنن ابن ماجة: (٣٩٧٦)، مسند الإمام أحمد: (١٧٣٧).

هل تعلم أن التلفزيونات الدوليّة ستدخل إلى الجزيرة العربية؛ يعني يستطيع أي داعر في الجزيرة وإن كان على بعد مائة متر من الكعبة أن يفتح قنوات الجنس والدعارة، وأنا عشت في أوروبا عشر سنوات، فهل تعلمون أن هناك قنوات جنس خالص، وحتى القنوات العادية الطبيعة في كل واحدة منها ربع ساعة جنس، قبل الأخبار أو بعد الأخبار، ويا إخوة أنت جالسون هنا ولا تعرفون ماذا يجري في العالم، هناك أفلام خاصة باللوطيين، وأفلام خاصة بالفاحشة بين النساء، يعني مصائب.

وهل يضمن هذا التاجر الكبير في إحدى غزواته التجارية لأوروبا أن زوجته وبناته لن يفتحوا التلفزيون؟ الله المستعان.

فهؤلاء العلماء الذين وُصِفوا هذا الوصف؛ لم يبلّغوا عن ربّ العالمين ولم يُؤدّوا الرسالة، ولو تركونا في حالنا وعجزوا وجلسوا في بيوتهم فجزاهم الله خيرًا، لا نريد منهم لا خير ولا شر ولا حق ولا باطل، ولكن عندما احتدمت المعركة بيننا وبين الطاغوت بدأوا ينصروه بالفتاوى؛ هذا حلال وهذا حرام ولا يجوز وهذا لا يجوز.

أحد الحضور (أغلب الكلام غير مسموع): ... الشيخ الجزائري... الإنسان الذي عنده عقل يفكّر ويعرف أن هذه العمليّة موقوتة، .... ولا يأتوا إلّا في الشرقية، وتكلم هذا الكلام... ويقول عن الذين يتكلمون عن الحكومة بقر وحيوانات، حتى أن كثير من الناس قبل أن يركب من السيارة بعد انتهاء المحاضرة قالوا له اتق الله يا شيخ، .... وعندما صارت آخر محاضر عندما ناصر الحكومة، أوقفه أحد الإخوان وقال له اتّقِ الله يا شيخ فأنت تقول كلام يخالف الواقع، وصار كلام كثير..

الشيخ أبو مصعب السوري: أنا سمعت رواية عن هذا الشيخ الجزائري، مطلوب من الإخوة الجزائريين يتأكدوا منها، أنا ليس عندي عليها دليل، ولكن أحد الإخوة وذكروا له أنه كان وزيرًا سابقًا في الصومال أو في موريتانيا نسيت، حضر للدول الأوربية، وكان وزيرًا والآن هو كاتب إسلامي، فقال لهم أنّه يعلم وعنده أدلّة أنّ الشيخ أبو بكر الجزائري كان مع الفرنسيين في الجزائر، وكان يعمل لصالح السلطات الفرنسية، ولـمّا استلمت حكومة (هواري بومدين) الحكم أصدرت قرار بالإعدام على مجموعة من الأشخاص كان منهم أبو بكر الجزائري، فهرب إلى فرنسا وبقي في فرنسا سنوات ثم ظهر فجأةً في السعودية مفتيًا كبيرًا ومعه الجنسية السعودية. وهذا

الكلام على ذمة الاوي ويحتاج لتأكد، وقال هذا الرجل أن عنده أدلّة، وأن الجزائري عنده الجنسية السعودية وهو يعمل كضابط في المخابرات السعودية، فالله أعلم.

المعروف لدينا أنه خلال فترة الحرب كانت له صحيفة طويل في (الشرق الأوسط) يملأها فتاوى وكلامًا، خصوصًا في وقت الحرب كما قال أخونا، فعندما انتهت الحرب أرسلت السعودية وفود دبلوماسية للجاليّة العربية العلمانيين في أوربا، ووفود من العلماء تدور على المراكز الإسلامية، ووفود من التجار تدور على المراكز التجارية، حتى تُحسّن صورة المملكة بعد الحرب، فكان ممن حضر لفرنسا أبو بكر الجزائري، فذهب إلى مسجد في باريس والشريحة الغالبة عليه شباب جزائري، فإمام المسجد أخذه على طرف وقال له: "يا شيخ الجو العام هنا كله ضد السعودية، وأنت إذا تكلمت عن السعودية فستحدث مشاكل، فأوعدني أن تتكلم عن مواعظ عامة"، فقال له أوعدك وخرج إلى الكلمة.

فقال: "أنا سأتكلم في موعظ عامة ولكن اسمحوا لي بكلمة واحدة فقط؛ أن ما حصل علينا من نزول القوات الأمريكية في الجزيرة هي نعمة من نعم الله لن نوفِّيها مهما أطلنا السجود، فقط أقول لكم أن وصولي إلى فرنسا حتى أعِظ فيكم هو من فضل نزول الأمريكان في السعودية"، يعني لو لم تنزل القوات الأمريكية وسلمت حكومة آل سعود وسلمت هيئة سخام العلماء لم يكن يستطيع جنابه أن يذهب لفرنسا!، فلم يُتمّ كلمه حتى جمع الإخوة النعال في المسجد وقصفوه بوابل من النعال، فلو لم يخرجوه من الباب الخلفي كان قُتل رميًا بالنعال.

أحد الحضور: (.....) الصوت غير مسموع.

الشيخ: الكلام الذي قاله بالضبط وكان أثناء بيعة الملك فهد: "لو لم تبقَ إلا عجوز من آل سعود لما وسعها إلا أن تحكم بكتاب الله وسنة رسوله"، فانظر كيف يرجم بالغيب ويتألّى على الله -سبحانه وتعالى-!. فهوما ما عرّفه لو بقيت عجوز أو بقيت شمطاء من آل سعود ماذا ستفعل؟

لا أريد أن أطيل الحديث في قضية العلماء، وأنا ذكرت أمثلة على سبيل السرعة، وفي سوريا عندنا منهم كثير، لا أذكر لك الواضحين الرسميين مثل مفتي الجمهورية قبل عدة سنوات اسمه (أحمد كفتارو)، ولكن أذكر أعلام جدد دخلوا بوزنهم العلمي في مديح الحكومة والوقوف مع الحكومة مثل البوطي.

تأتي إلى مصر تجد سلسلة لها أول وليس لها آخر من علماء الأزهر وخريجي الأزهر، من أمثال الطنطاوي والشعراوي والغزالي، تصور الغزالي من آخر مآثره حضر حفلة تكريم إحسان عبد القدوس، وأثنى على إحسان عبد القدوس من خلال الجلسة، وألقى محاضرة ربط الأدب العربي بالأدب الإسلامي، وإحسان عبد القدوس أقل ما يقال فيه أنه داعر، بعيدًا عن مواقفه السياسة، أدبه داهر، حتى أن أحد أبنائه من الإخوان المسلمين في مجلة الدعوة تبرّأ منه. فذهب وحضر الجلسة والجلسة يحضرها الفنّانون والفنانات!.

فمن الذي يقول لا تتكلموا في هؤلاء الناس؟ السلف الصالح كانوا لا يتكلمون مع عالم لأنه ذهب ودخل على هارون الرشيد، أو دخل على أبي جعفر المنصور، ويقولون هذا وقع في شبه ووقع في مصيبة، فلماذا تكفّونا عن هؤلاء الناس؟

ومع ذلك لو تركونا في حالنا لتركناهم في حالهم، ولكن لا تكاد تعمل عملًا أو تعمل شيئًا حتى يخرجوا ويقفوا ضدك، والآن إذا دخلت في معركة مع الأمريكان فسيخرج لك مائة عالم يقولوا: "لك هؤلاء مستأمنون وعندهم أمان من ولي الأمر الذي استدعاهم بصورة رسمية."

لا أريد أن أطيل عليكم، هذا في موضوع العلماء، فمن تورّط من العلماء في هذا فهو من طائفة الطاغوت، ومن طائفة الكفر، ويدافع عن الكفر ويحارب الله ورسوله، هذا كفعل، ولكن هل فعل هذا الفعل وهو عالم أو كان جاهل؟ فهذا موضوع آخر..

الآن قد يقول لي قائل: "أنّ ابن باز وابن عثيمين محاطون بدائرة من المخابرات فلا تصلهم الحقيقة"، أقول هذا الكلام غير صحيح، أنا جلست مع إخوة سعوديين مشافهة وقالوا لي: جلسنا جلسات مع ابن باز وابن عثيمين، والأخ الذي حدّثني جلس بالتحديد مع ابن عثيمين، فقال لي: "عنده من المعلومات والنصائح والتقارير التي

كتبها له مئات الناس ما يجعل عنده معلومات نعجز نحن هنا في الأرشيف أن نجمع مثلها"، عنده كل هذه المعلومات.

وحكى لي عن ابن عثيمين، قال ذهبنا إليه وقلنا يا شيخ: "أنت قلت أن هناك ضرورة في الاستعانة"، وأثبتوا له أنّها ليست استعانة، فقال لهم: "أنا أخطأت"، قالوا له: "جيد نسجل لك هذا الأمر أنك أخطأت وأن تأمر الناس بالتدريب حتى يخرجوا من الضرورة؟". فقال لهم: "أنا لا أتكلم بهذا الكلام واذهبوا إلى ابن باز هو يتكلم". فقالوا له: "ابن باز لن يتكلم وأنت علمت فواجبك أن تتكلم"، فغضب بعد أن حاصروه وأنهى الجلسة غاضب وخرج. قالوا له: "نحن في حالة احتلال"، فقال لهم: "هل تظنّون أنّي أحمق، نعم نحن في حالة احتلال وأنا أعلم ذلك". والرجل حيّ يرزق من كبار الإخوة في بيشاور.

فما هي مهمتك؟ فقط أن تضع العباية وتدرِّس أربعين واحد في الحرم أن حكم الدعاء عند ماء زمزم، لا يجوز وهو بدعة؟! وأنا سمعتها بأذني في رمضان قبل سنتين، أربعة ساعات وهو يتكلم عن أن هذه الأدعية أنها بدعة ولا تجوز، والناس يأتون من آخر الدنيا حتى يسمعوا منه، إذا كانت بدعة فاجلس مع الملك وقل له لا تطبعوا كتبًا، فلا يطبعوا الكتب وتنتهي البدعة، ولكن عنده هذا من باب (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).[٣٧]

أحد الحضور (أغلب السؤال غير مسوع): (........) ..الشباب، حتى الناس الذين لم ينضموا للإخوان، ولا للسلفية، ولا غيرها من الفرق، موقف العالِم يكون صعب في هذا، عندما يبين لهم...

الشيخ ابو مصعب: (.....) ولكن هل عَقِمت الجزيرة طولًا وعرضًا أن تُخرج عالمًا يقف كموقف العز بن عبد السلام مع الملك إسماعيل الأيوبي حاكم دمشق عندما ناصر الصليبيين وأدخلهم دمشق؟

هل علماء السعودية أضعف في بلدهم من موقف العز بن عبد السلام وهو في باصطلاحنا المعاصر كان لاجئًا سياسيًا في مصر عند المماليك، ولم يكن مرّ عليه في مصر سنتين أو ثلاث، وهو لاجئ مهاجر هارب من الدولة

[٣٧] هذه الفقرة غير واضحة ومفهوم كلام الشيخ غير واضح.

الأيوبية في الشام إلى مصر، ومع ذلك عندما قام الضباط المماليك بالانقلاب واستلموا الحكم قال لهم هذا لا يجوز ويجب أن نبيعكم، والقصّة مشهورة.

فقال لهم: "نبيعكم"، فقالوا: "من يشترينا؟"، قال: "بيت مال المسلمين."، قالوا: "فمن يبيعنا؟"، قال: "أنا أبيعكم."، فقام باعهم وغالى في أثمانهم، وهم كانوا حكّامًا وضُبّاط وليسوا حكّامًا عاديين؛ انقلابين وعسكر استلموا الحكم، وأنت تعرف عقليّة العسكري عندما يستلمون الحكم.

فواحد منهم أخذته العزة فقال سأقتله، فأخذ سيفه وذهب إلى بيت العز بن عبد السلام ، والحادثة مشهورة كلكم قرأها وأرويها لكم فقط لأثرها، فلمّا ضرب على الباب فتح ابن العز بن عبد السلام، فذهب لأبيه وقال له: "يا أبتِ انجو بنفسك هذا أحد المماليك جاء وهو شاهر السيف"، فقال العز بن عبد السلام: "والله إني أظن أني أقلّ من أُقتل في سبيل الله شهيدًا"، فخرج عليه فمن هيبة العالم سقط السيف من الرجل واستتابه على الباب.

أنا أقسم لك -ولا أريد أن أتألّى على الله- أنّ ثلاثة من علماء السعودية يستطيعون أن يسقطوا حكم آل سعود، ابن باز مع ابن عثيمين مع أحد هؤلاء كبار العلماء (ولا أدري هل هم كبار في الطول أو العرض أو في أي شيء؟)؛ هؤلاء الناس لو أجمعوا وخرجوا وقالوا للناس: هؤلاء الحكام ليسوا حكامًا شرعيين، ومع ذلك أنت قد أمرك الله -سبحانه وتعالى- وقال: {لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}[٣٨]، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: "إذا سكت العالم تقية وتكلم الجاهل بجهله فمتى يظهر الحق".

أحد الحضور: (الصوت غير مسموع) ... قبل ذلك صرّحوا بالحق فلم يعلم عنهم أحد شيئًا...

الشيخ أبو مصعب السوري: دماء الشهداء لا تذهب هباء بل لها بركة، هذا الرجل قد يذهب ويُقتل وتمر سنة أو سنتين أو أربع، ولكن هناك أمور نأخذ نحن منها نحن البركة، الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: (حدٌّ يُعمل في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يُمطَروا ثلاثين صباحًا)[٣٩]، فما هي علاقة تطبيق الحد بالخير والبركة

[٣٨] سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

[٣٩] مسند الإمام أحمد: (٩٢٢٦)، سنن النسائي: (٤٩٠٤)، سنن ابن ماجة: (٢٥٣٨).

الذي ينزل على الناس؟ نحن فقط بطاعتنا لله -سبحانه وتعالى- تنزل علينا البركة وينزل علينا الفرج، فهذا العالم لو اتخذ موقفه يستطيع أن يؤثر.

ومع ذلك هذا ليس موضوعنا، موضوعنا أنه بلغني أن بعض الإخوة استاؤوا من أنني أتكلم عن العلماء بهذا الطريقة، ففقط أريد أن أبيّن لإخواننا هؤلاء أن هذا الكلام شرعي ومشروع طالما أننّا نتكلم في حدود الأدب وفي حدود الدليل، ثم بعد ذلك تقول لي أن هذا العالم لم يردّ عليه أحد أو أنّه ينتظر فرصة فهذا الكلام ممكن؛ ولكن نريد أن نُسقط وثنية العلماء وقادة العمل الإسلامي، هذا هو الغرض فقط؛ أن لا يقال لنا هؤلاء لا يجوز الكلام فيهم، فهم أخطأوا وارتكبوا موبقات كبيرة، يكفي أنهم يعيشون في (البلاط) ويقبض كل واحد منهم أربعين وخمسين ألفًا.

وأنا لا أريد أن يُفْهَم من كلامي أنني أقصد السعودية وحدها، هذا الوضع قائم في كل العالم الإسلامي، فقط كون السعودية فيها بلاء الآن فتكلمنا عن السعودية، ولكن البلاء موجود في مصر وفي ليبيا وفي الجزائر وفي المغرب وفي كل مكان ابتُلينا بهذه الطبقة.

أحد الحضور: (الصوت غير مسموع) ...

الشيخ أبو مصعب: أنا كنت أتكلم عن مجلس الأمة في الكويت؛ الذي حصل في الكويت أنّ بعض أعضاء الإسلاميين بدأوا يتكلمون عن وزير التربية الكويتي، ووزير التربية الكويتي رجل زاني داعر قضى ثلاث أرباع حياته في أمريكا، فقام أحد نواب الحركة الإسلامية وتكلم على الوزير، فاشتعل الموضوع وكاد يعصف بالوزارة فقام (سمو) الأمير وقال لهم: "خلاص لا نريد مجلس أمّة"، وقام بإلغاء البرلمان وانتهت الديمقراطية وانتهى الموضوع، ثم افتُتح مجلس الأمة مرة أخرى قبل الغزو بأربعة أشهر تقريبًا، ثم انحل مرة أخرى. فهؤلاء الناس يريدون أن يصلوا إلى النتيجة سواء بالديمقراطية أو بالديكتاتورية أو بأي طريقة من الطرق.

فكما قلنا الحلف الغربي اليهودي النصراني مع المرتدين يتترَّس الآن بطبقة من الفقهاء والعلماء وأبناء الحركة الإسلامية؛ فكوننا لا نستطيع أن نسحب السيف على المسلمين وندخل في مجزرة لها أول وليس لها آخر؛ تورُّعًا

ولأن الأمور لم تُفصل ولم تنقسم الأمة إلى معسكرين، معسكر إيماني في مكان ومعسكر كفر في مكان؛ فنحن نقول أن جهاد العلماء وجهاد المنحرفين من قادة العمل الإسلامي هو بالحجة والبيان والدليل الشرعي وبالكتاب والسنة، وما أحد يزعل منا!

أحد الحضور: (............).

الشيخ أبو مصعب السوري: هؤلاء الناس أوغلوا -إلا أن يرحمهم الله رب العالمين- وصاروا من فئة الطاغوت، فنحن ما نقصده هم تلاميذ هؤلاء العلماء وقواعد هذه الحركة الإسلامية والناس المفتونون بهم، حتى هنا كان هناك إخوان مسلمين وطلبة علم، وفي إحدى الدورات كان هناك ٤٥ واحدًا من كبار طلبة العلم، فأحد الإخوة فقال لي: "يا أخي والله لو تقول نصف كلمة من هذا الكلام في الدورة لن يردوا عليك بل سيضربوك"، قال لي: كلهم عندهم أن الدولة قائمة فيها الأحكام والشريعة وهم ولاة الأمر، ونحن هنا لنعد لجهاد يأجوج ومأجوج!، ما أدري لماذا يعدّون؟! فهؤلاء الناس هم من نقصدهم في موضوع الحجة والبيان، فهل يعني أنا سأدرس وأفهم لدرجة أن أقنع ابن باز حتى يرجع عن رأيه لرأيي؟!

أحد الحضور: وقادة العمل الإسلامي؟

الشيخ أبو مصعب السوري: ... قادة العمل الإسلامي؛ تعال ننظر للعالم العربي كوننا لا نعرف عن بقية العالم الإسلامي إلا ما يجري في تركيا وباكستان، الجماعة الإسلامية في باكستان تعرف وضعها، أبو الأعلى المودودي الرجل بدأ بداية حسنة -رحمه الله-، وكتب في المواضيع الأساسية، ولكن في آخر حياته لأسباب لا أعلمها مال فكره إلى طريقة ديمقراطية، والتجربة لم تُدرس كما ينبغي، ودخل البرلمان ودخل الديمقراطية.

ولا أدري كيف تأوّل المودودي هذا، ولكن الذي حصل أنه بعد أن وفاة المودودي نهجت الجماعة الإسلامية نهجًا سلميًا ديمقراطي وكأنّ فكر أبي الأعلى الأول ليس له أي علاقة بهذه الحركة لا من قريب ولا من بعيد.

وأصلًا سيد قطب تلميذ عند أبي الأعلى المودودي، يعني كل ما عند سيد شيء من فكر المودودي أبرزه بأسلوبه الأدبي الجميل، ولكن أصل أفكار موضوع الحاكمية والمصطلحات الأربعة من المودودي، فتصور أن الحركة التي

بدأت بمثل هذا الفكر انتهت هذه النهاية، حركة ليس لها أصول، حركة قاعدة في برج عاجي، تصور أن بنازير بوتو وحزبها (حزب الشعب) أخذوا في الانتخابات ٩٨ مقعدًا في البرلمان، بينما الجماعة الإسلامية أخذت مقعدًا واحدًا. فحصيلة جهودهم الجماهيرية أن (بنازير بوتو) شعبيتها أكبر من شعبيتهم بـ٩٨ مرة، فتصور كم سنة يريدون منّا أن ننتظر حتى ١يصير ٢، و٢ تصير ٨.

وأضرب لك تجربة أخرى في مصر؛ عندما دخل الإخوان الانتخابات متحالفين مع حزب الوفد، وجماعة حزب الوفد هم الذين قتلوا حسن البنا، وكان عدد مقاعد البرلمان المصري فيما أذكر ٤٥٢، فأخذت المعارضة (من الوفد والإخوان) ٥٨ مقعدًا، ٨ منها للإخوان الذين دخلوا باسم الوفد تمويهًا وليس باسم المسلمين، فأخذوا هم وحلفهم الضال ٥٨ من ٤٥٢، فتصور ماذا سيُغني هؤلاء عن الحق؟! وهم لم يدخلوا البرلمان إلا وتخلّوا عن هويّتهم الإسلامية ولبسوا الهويّة الوفد ودخلوا بشعار الوفد.

وهذا مرشالصوت- ن يقولون له: "يتّهمونكم أنكم تريدوا إنشاء حزب ديني"، فالإخوان كانوا يريدون تأسيس حزب، والقانون يمنع إنشاء أحزاب دينية، فقال لهم: "حزبنا ليس دينيًا"، فقال له: "لو جاء أحد الأقباط فهل تقبله في الإخوان المسلمين؟"، فقال: "نعم أقبله، والإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله- كان عنده اثنين من النصارى في مجلس الشورى"، هذا تجدونه في مجلّة إخوانية، كان ابن عباس يقول: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: " قال الله وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتقولون قال أبو بكر وعمر).[40]

-انقطاع الصوت-

[40] ذكره بهذا اللفظ ابن القيم في زاد المعاد (٢/١٩٥) وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى وذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣١٢١) بلفظ: (أراهم سيهلكون أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: نهى أبو بكر وعمر)

الفهرس: